شبكة كلمة سواء الدعوية



صيانة القرآن
من الزيادة والنقصان

بقلم : مناصر الإسلام

صيانة القرآن من الزيادة والنقصان
بقلم مناصر الإسلام

مقدمة

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره ونعوذ بالله من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا من يهده الله فلا مضل له ومن يضلل فلا هادي له وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له وأشهد أن محمداً عبده ورسوله{يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ} {يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا} {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا} أما بعد فإن أصدق الحديث كتاب الله وأحسن الهدي هدي محمد –صلى الله عليه وسلم– وشر الأمور محدثاتها وكل محدثةٍ بدعة وكل بدعةٍ ضلالة وكل ضلالةٍ في النار، أما بعد :

أنجز الله –سبحانه و تعالى– وعده لرسوله –صلى الله عليه و سلم– بحفظ القرآن الكريم وجمعه، قال تعالى: {لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ فَإِذَا قَرَأْنَاهُ فَاتَّبِعْ قُرْآنَهُ ثُمَّ إِنَّ عَلَيْنَا بَيَانَهُ} [القيامة : 16 – 19]، وقال تعالى: {إِنَّا نَحْنُ نَزَّلْنَا الذِّكْرَ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ} [الحجر : 9]

فلا تخالطنا ذرة شك أنه كتاب الله العزيز المحفوظ من التبديل والتغير والتحريف كما فعل أصحاب الكتب السابقة بكتبهم، إذ لم يتعهد الله بحفظها؛ حيث كانت هذه الكتب والعقائد وقتية لا أبدية، ولأقوام بعينهم، لا إلى العالم بأسره، إلى أن جاء الإسلام إلى الناس كافة، قال تعالى: {وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً لِلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ} [سبأ : 28]

إلا أن حزب الشيطان فى كل أرضٍ وزمان لا يتوانون عن إضلال الناس بأهوائهم بغير علم، فإتجهوا إلى كتاب الله الحق، الذى لا يأتيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، متهمين إياه بأنه ليس من عند الله، ولكن أَنَّى لهم هذا الإتهام الفاشل ؟! فهناك مقياس واحد نُصدق بعده هؤلاء القوم فى زعمهم هذا، وهو ما أخبر به الله تعالى: {وَإِنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنَا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ فَإِنْ لَمْ تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ} [البقرة : 23 – 24] وهى الحقيقة التى فشل هؤلاء فى تحديها، ورغم هذا لم يستحوا، وكان خليقاً بهم، وأسلمهم عجزهم هذا عن تحدى القرآن للطعن فيه بإدعاءات التحريف والتغير والتبديل.

وهذه الإدعاءات لها سبب من إثنين: إما جهلهم، وإما إعتمادهم على جهل من يُقدموا إليهم هذه الإدعاءات، والحقيقة أنهما السببان جميعا، فهؤلاء يحاسبوننا على جهلهم بعلوم القرآن الكريم.

أخرج الإمام مسلم فى صحيحه عن عبدالله ابن مسعود –رضى الله عنه– أنه قال: "ما أنت بمحدثٍ قوماً حديثاً لا تبلغه عقولهم إلا كان لبعضهم فتنة " ولما كان المتكلم فى القرآن منهم لا يحسن يتكلم في هذا الأمر، ولا يعرف أصله من فصله، فما بالنا بالمُتلقى ؟ لأجل هذا نقول: "لا تحاسبونا على جهلكم" فلا تصوروا لأنفسكم فى أذهانكم عن القرآن أموراً ثم تلزمونا بها، بل لتتعلم عن الأمر الذى تتكلم فيه بدايةً، ثم إن وجدت نفسك على صواب فيما تقول وتسمع بعد أن تعلم – وهيهات هيهات– وإلا فلا يسعك أن ترمينا بجهلك مرة آخرى.

قال تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ يُلْحِدُونَ فِي آيَاتِنَا لَا يَخْفَوْنَ عَلَيْنَا أَفَمَنْ يُلْقَى فِي النَّارِ خَيْرٌ أَمْ مَنْ يَأْتِي آمِنًا يَوْمَ الْقِيَامَةِ اعْمَلُوا مَا شِئْتُمْ إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالذِّكْرِ لَمَّا جَاءَهُمْ وَإِنَّهُ لَكِتَابٌ عَزِيزٌ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ}[فصلت : 40 ، 42]

وعلى هذا سيكون منهج الكتاب بإذن الله تعريف بأهم علوم القرآن الكريم التى دارت حولها الشبهات ثم يُتبع ذلك ببيان الشبهات التى دارت حول هذه العلوم كل على حدة، وليس لى فى هذا الكتاب كله إلا أنى جمعت أقوال العلماء المبثوثة فى كتب علوم القرآن –على إختلاف علومه– الداحضة لتلك الفرى فى كتاب واحد والله وحده أسأل التوفيق والسداد .

الباب الأول

التعريف بالقرآن الكريم

الفصل الأول:

القرآن والوحى والعرضة بالقرآن

ما هو القرآن ؟

قال القطان:"قد خص القرآن بالكتاب المنزل على محمد –صلى الله عليه وسلم– فصار له كالعلم الشخصي، ويطلق بالاشتراك اللفظي على مجموع القرآن، وعلى كل آية من آياته، فإذا سمعت من يتلو آية من القرآن صح أن تقول إنه يقرأ القرآن:{وَإِذَا قُرِئَ الْقُرْآنُ فَاسْتَمِعُوا لَهُ وَأَنْصِتُوا}"[1]

كيف تلقى النبى –صلى الله عليه وسلم– هذا القرآن ؟

تلقاه بالوحى،قال تعالى:{إِنَّا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ كَمَا أَوْحَيْنَا إِلَى نُوحٍ وَالنَّبِيِّينَ مِنْ بَعْدِهِ وَأَوْحَيْنَا إِلَى إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَالْأَسْبَاطِ وَعِيسَى وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَارُونَ وَسُلَيْمَانَ وَآتَيْنَا دَاوُودَ زَبُورًا }[النساء:163]، وقال تعالى:{ نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِنْ كُنْتَ مِنْ قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ }[يوسف:3]، وقال تعالى:{وَكَذَلِكَ أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ قُرْآنًا عَرَبِيًّا}[الشورى:7]، وغيرها من الآيات.

ما هو الوحى ؟

قال القطان:"ووحي الله إلى أنبيائه قد عرَّفوه شرعًا بأنه: كلام الله تعالى المُنَزَّلُ على نبي من أنبيائه...والوحي بالمعنى المصدري اصطلاحًا: هو إعلام الله تعالى مَن يصطفيه من عباده ما أراد من هداية بطريقة خفية سريعة"[2]

---

[1] مباحث فى علوم القرآن (16/1)–الطبعة الثالثة–مكتبة المعارف للنشر والتوزيع

[2] مباحث فى علوم القرآن (29/1)–الطبعة الثالثة – مكتبة المعارف للنشر والتوزيع

كيف يكون الوحى ؟

قال تعالى:{وَمَا كَانَ لِبَشَرٍ أَنْ يُكَلِّمَهُ اللَّهُ إِلَّا وَحْيًا أَوْ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ أَوْ يُرْسِلَ رَسُولًا فَيُوحِيَ بِإِذْنِهِ مَا يَشَاءُ إِنَّهُ عَلِيٌّ حَكِيمٌ }[الشورى:51] فهذه حالات ثلاث للوحى، قال القطان:"يوحي الله إلى رسله بواسطة وبغير واسطة، فالأول: بواسطة جبريل مَلك الوحي وسيأتي بيانه، والثاني: هو الذي لا واسطة فيه، ومنه الرؤيا الصالحة فى المنام، ومنه الكلام الإلهى من وراء حجاب"[3]

كيف أوحى الله للنبى –صلى الله عليه وسلم– بالقرآن ؟

عن عائشة أم المؤمنين رضي الله عنها قالت:"   أن الحارث بن هشام رضي الله عنه سأل رسول الله صلى اللهعليه وسلم فقال: يا رسول الله، كيف يأتيك الوحي؟ فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "أحيانا يأتيني مثل صلصلة الجرس، وهو أشده علي، فيفصم عني وقد وعيت عنه ما قال، وأحيانا يتمثل لي الملك رجلا فيكلمني فأعي ما يقول" قالت عائشة

رضي الله عنها: ولقد رأيته ينزل عليه الوحي في اليوم الشديد البرد، فيفصم عنه وإن جبينه ليتفصد عرقا"[4]

قال القطان:"وحي الله إلى أنبيائه إما أن يكون بغير واسطة، وهو ما ذكرناه آنفًا. وكان منه الرؤيا الصالحة في المنام، والكلام الإلهي من وراء حجاب يقظة، وإما أن يكون بواسطة

---

[3] مباحث فى علوم القرآن (34/1 وما بعدها)–الطبعة الثالثة–مكتبة المعارف للنشر والتوزيع

[4] صحيح البخارى (6/1) –دا طوق النجاة –الطبعة الأولى.

مَلَك الوحي وهو الذي يعنينا في هذا الموضوع لأن القرآن الكريم نزل به.ولا تخلو كيفية وحي المَلَكِ إلى الرسول من إحدى حالتين:

الحالة الأولى: وهي أشد على الرسول، أن يأتيه مثل صلصلة الجرس، والصوت القوي يثير عوامل الانتباه فتُهَيَّأ النفس بكل قواها لقبول أثره، فإذا نزل الوحي بهذه الصورة على الرسول –صلى الله عليه وسلم– نزل عليه وهو مستجمع القوى الإدراكية لتلقيه وحفظه وفهمه، وقد يكون هذا الصوت حفيف أجنحة الملائكة المشار إليه في الحديث: "إذا قضى الله الأمر في السماء ضربت الملائكة بأجنحتها خضعانًا لقوله كالسلسلة على صفوان"رواه البخارى، وقد يكون صوت المَلَكِ نفسه في أول سماع الرسول له.

والحالة الثانية: أن يتمثل له المَلَكُ رجلًا ويأتيه في صورة بشر، وهذه الحالة أخف من سابقتها، حيث يكون التناسب بين المتكلم والسامع، ويأنس رسول النبوَّة عند سماعه من رسول الوحي، ويطمئن إليه اطمئنان الإنسان لأخيه الإنسان."[5]

كيف كان نزول القرآن الكريم ؟

نزل القرآن مُنَجَّمًا –أى مفرقاً– في ثلاث وعشرين سنة منها ثلاث عشرة بمكة على الرأي الراجح، وعشر بالمدينة. والحكمة من ذلك منها مسايرة الحوادث والتدرج فى التشريع.

قال الزحيلى:" نزل القرآن منجماً مفرقاً على وفق المناسبات والحوادث والوقائع، أخذاً بمبدأ تربوي ناجح ألا وهو التدرج في التشريع لإصلاح المجتمع العربي الجاهلي تدريجيا، ومراعاة للمصالح، وتمكيناً من التخلص من العادات والتقاليد الموروثة شيئا فشيئا، وإعداداً

[5] مباحث فى علوم القرآن (36/1)–الطبعة الثالثة–مكتبة المعارف للنشر والتوزيع

للحكم الشرعي المستقر، بتقبل النفوس له وتربيتها على وفق الغاية الشرعية بنحو بطيء، واقتناع عقلي ذاتي بأفق التشريع ومراميه البعيدة"[6]

وعن عائشة –رضى الله عنها– قالت:"إنما نزل أول ما نزل منه سورة من المفصل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيء لا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدا"[7]

ومنها تثبيت قلب النبى –صلى الله عليه وسلم– فلا ينزل عليه جملةً واحدة ثم ينقطع بعد،قال تعالى:{ وقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ الْقُرْآنُ جُمْلَةً وَاحِدَةً كَذَلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا}[الفرقان:32]

ومنها الدلالة القاطعة على أن القرآن الكريم تنزيل من حكيم حميد، إذ كتاب يتنزل على مدى ثلاثة وعشرين عاماً تجده دقيق مترابط المعانى لا يتناقض ولا يتضارب رغم طول هذه الفترة فما هو بكلام البشر إطلاقاً.

قال القطان:"إن هذا القرآن الذي نزل مُنَجَّمًا على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– في أكثر من عشرين عامًا تنزل الآية أو الآيات على فترات من الزمن يقرؤه الإنسان ويتلو سوره فيجده محكم النسج، دقيق السبك، مترابط المعاني، رصين الأسلوب، متناسق الآيات والسور، كأنه عقد فريد نظمت حباته بما لم يُعهد له مثيل في كلام البشر: {كِتَابٌ أُحْكِمَتْ آيَاتُهُ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِنْ لَدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ} ولو كان هذا القرآن من كلام البَشر قيل في

[6] التفسير المنير (261/1)

[7] صحيح البخارى (4609)

مناسبات متعددة، ووقائع متتالية، وأحداث متعاقبة، لوقع فيه التفكك والانفصام، واستعصى أن يكون بينه التوافق والانسجام: {وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللَّهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتِلافًا كَثِيرًا}"[8]

ما هى العرضة بالقرآن ؟

عن ابن عباس قال:"كان رسول الله صلى الله عليه وسلم أجود الناس وكان أجود ما يكون في رمضان حين يلقاه جبريل وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فلرسول الله صلى الله عليه وسلم أجود بالخير من الريح المرسلة"[9]

وعن ابن عباس رضي الله عنهما قال: " كان النبي صلى الله عليه وسلم أجود الناس بالخير وأجود ما يكون في شهر رمضان لأن جبريل كان يلقاه في كل ليلة في شهر رمضان حتى ينسلخ يعرض عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم القرآن فإذا لقيه جبريل كان أجود بالخير من الريح المرسلة"[10]

قال ابن حجر: "هذا عكس ما وقع في الترجمة لأن فيها أن جبريل كان يعرض على النبي صلى الله عليه و سلم وفي هذا أن النبي صلى الله عليه و سلم كان يعرض على جبريل وتقدم في بدء الوحي بلفظ وكان يلقاه في كل ليلة من رمضان فيدارسه القرآن فيحمل على أن كلا منهما كان يعرض على الآخر"[11]

[8] مباحث فى علوم القرآن (1/116 – 117)–الطبعة الثالثة–مكتبة المعارف للنشر والتوزيع
[9] صحيح البخارى (5)
[10] صحيح البخارى (4613)
[11] فتح البارى (9/44)

وقال في موضع آخر: "وقد أخرج أبو عبيد من طريق داود بن أبي هند قال قلت للشعبي قوله تعالى شهر رمضان الذي أنزل فيه القرآن أما كان ينزل عليه في سائر السنة قال بلى ولكن جبريل كان يعارض مع النبي صلى الله عليه و سلم في رمضان ما أنزل الله فيحكم الله ما يشاء ويثبت ما يشاء ففي هذا إشارة إلى الحكمة في التقسيط الذي أشرت إليه لتفصيل ما ذكره من المحكم والمنسوخ ويؤيده أيضا الرواية الماضية في بدء الخلق بلفظ فيدارسه القرآن فإن ظاهره إن كلا منهما كان يقرأ على الآخر وهي موافقة لقوله يعارضه فيستدعي ذلك زمانا زائدا على ما لو قرأ الواحد ولا يعارض ذلك"[12]

من هاهنا يتضح أن جبريل كان يُعارض النبى –صلى الله عليه وسلم– بالقرآن كل عام فى رمضان، فيقرأ جبريل على النبى –صلى الله عليه وسلم– ويقرأ النبى –صلى الله عليه وسلم– على جبريل، ثم إنهم يتدارسونه فيُعلمه جبريل بما نُسِخ منه وما رُفِعت تلاوته وغير ذلك، وقد كان أصحاب النبى –صلى الله عليه وسلم– يحضرون تلك العرضات بالقرآن الكريم.

فعن ابن عباس –رضى الله عنهما– قال: "أي القراءتين تعدون أول ؟ قالوا: قراءة عبد الله، قال: لا، بل هي الآخرة،كان يعرض القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم في كل عام مرة، فلما كان العام الذي قبض فيه، عرض عليه مرتين، فشهده عبد الله، فعلم ما نسخ منه وما بدل"[13]

[12] فتح الباري (45/9)
[13] مسند أحمد ط الرسالة (395/5) قال الأرناؤوط: إسناده صحيح على شرط الشيخين

وعن أبى عبد الرحمن السلمى قال: "قرأ زيد بن ثابت على رَسُول اللهِ في العام الذي توفَّاه الله فيه مرتين، وإنَّما سمِّيَت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت؛ لأنه كتبها لرَسُول اللهِ، وقرأها عليه وشهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بِها حتى مات، ولذلك اعتمده أبو بكر وعمر في جمعه، وولاه عثمان كتبة المصاحف"[14]

فكان الصحابة –رضى الله عنهم– يحضرون تلك العرضات بالقرآن الكريم، يعلمون ما يُنسخ منه، وما يُبدل وما يُرفع تلاوته، ويثبتون ذلك كله .

[14] شرح السنة للإمام البغوى (4 / 525، 526)

الفصل الثاني:

شبهات حول حفظ الوحي

الغرض من هذه الشبهات فى الجملة هو الإدعاء بأن النبى –صلى الله عليه وسلم– لم يكن يحفظ القرآن المنزل عليه، وكان ينسى منه؛ وبالتالى فقد ضاع من القرآن المُنزل على النبى –صلى الله عليه وسلم– بعضاً مما نزل منه، ونفى كل ذلك عنه –صلى الله عليه وسلم– وعن الوحى يستتبع بالضرورة حفظ القرآن الكريم كما نزل على النبى –صلى الله عليه وسلم– لم يضع منه شيئاً كما يزعم المتخرصون، وهى شبهات متهافتة من السخافة بمكان كما سيظهر لك فى الأسطر القادمة .

الشبهة الأولى:–

روى البخاري عن عائشة رضي الله عنها قالت: "سمع النبي قارئا يقرأ من الليل في المسجد فقال: يرحمه الله، لقد أذكرني كذا وكذا آية أسقطتها من سورة كذا وكذا. وفي رواية: أنسيتها"

فيزعمون بذلك أن النبى –صلى الله عليه وسلم– كان ينسى القرآن، ويصور لهم خيالهم فى ذلك أن القرآن ربما ضاع منه شيئاً.

وجواب ذلك أن الرواية يحملها كل ذى عقل على أن النبى –صلى الله عليه وسلم– لما نسى تلك الآيات تذكرها من تلاوة رجل لها، فهو –صلى الله عليه وسلم– قد نسيها بعد إبلاغه إياها أصحابه –رضوان الله عليهم– فلا إشكال فى نسيانه إياها بعد، فهو أمر عارض يحدث لكل البشر وما يفتىء أن يتذكرها.

قال ابن حجر: "قال الإسماعيلي النسيان من النبي صلى الله عليه و سلم لشيء من القرآن يكون على قسمين أحدهما نسيانه الذي يتذكره عن قرب وذلك قائم بالطباع البشرية وعليه يدل قوله صلى الله عليه و سلم في حديث بن مسعود في السهو إنما أنا بشر مثلكم أنسى كما تنسون والثاني أن يرفعه الله عن قلبه على إرادة نسخ تلاوته وهو المشار إليه بالاستثناء في قوله تعالى سنقرئك فلا تنسى الا ما شاء الله قال فأما القسم الأول فعارض سريع الزوال لظاهر قوله تعالى أنا نحن نزلنا الذكر وأنا له لحافظون وأما الثاني فداخل في قوله تعالى ما ننسخ من آية أو ننسها...وفي الحديث حجة لمن أجاز النسيان على النبي صلى الله عليه و سلم فيما ليس طريقه البلاغ مطلقا وكذا فيما طريقه البلاغ لكن بشرطين أحدهما أنه بعد ما يقع منه تبليغه والآخر أنه لا يستمر على نسيانه بل يحصل له تذكرة أما بنفسه وأما بغيره "[15]

ثم إننا لو فرضنا جدلاً بقول ردىء أنه –صلى الله عليه وسلم– نسيها ولم يُبلغ أحداً بها ولم يُثبتها–وهو ما لن يستطع هؤلاء تقديم أى دليل عليه– فإن جبريل كان يُعارضه بالقرآن فى كل عام مرة؛ فسواء زعموا أنه قد نسى بعد تبليغه الآيات، فهو يتذكرها بعد إما بنفسه وإما بغيره، وسواء زعموا –بلا دليل– أنه قد نسى قبل البلاغ، فجبريل يعارضه بالقرآن كل عام مرة يتدارسونه كما قد مر بك، ولكن قبل البلاغ لم يقع منه نسيان كما قال الإسماعيلى: "فأما قبل تبليغه فلا يجوز عليه فيه النسيان أصلاً"[16]

---

[15] فتح البارى (86/9)

[16] المصدر السابق

الشبهة الثانية:-

قال ابن حجر: "روى بن أبي حاتم من طريق عكرمة عن بن عباس قال ربما نزل على النبي صلى الله عليه و سلم الوحي بالليل ونسيه بالنهار"[17]

وجدير بالذكر أن هؤلاء بلغ بهم التدليس أن يذكروا تلك الرواية موهمين القارىء أن البخارى الإمام قد ذكرها فى صحيحه، والصواب أن قد ذكرها ابن حجر فى شرحه على صحيح البخارى .

وهذه الرواية ضعيفة، ضعفها الألبانى فى السلسلة الضعيفة قال: " وهذا إسناد ضعيف لا يحتج بمثله"[18]

[17] فتح البارى (176/8)

[18] السلسلة الضعيفة (454/11) (5289)

الباب الثانى

من علوم القرآن الكريم

الفصل الأول :

الناسخ والمنسوخ «النسخ»

قال تعالى:{مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[البقرة:106]وقال جل ذكره:{وَإِذَا بَدَّلْنَا آيَةً مَكَانَ آيَةٍ وَاللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا يُنَزِّلُ قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مُفْتَرٍ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ}[النحل:101]

قال أبو سعيد بن محمد:" حقيقة النسخ عندنا الخطاب الدال على ارتفاع الحكم الثابت بخطاب آخر قبله ولولا الخطاب الثاني لاستمر الحكم المنسوخ ومن ضروريته رفع حكمه بعد ثبوته"[19]

بمعنى أن النسخ هو رفع حكم كان موجود –أى محوه وإزالته– بحكم آخر جديد وهذا الأمر يكون من الله وحده كما قال تعالى { نَنْسَخْ} وليس من إختيار البشر أو إجتهادهم حاشا لله.

وقال الزحيلي:"والإنساء: إذهاب الآية من ذاكرة النبي صلّى اللّه عليه وسلّم بعد تبليغه إياها، فمعنى نُنْسِهَا نبح لكم تركها،من نسي:إذا ترك"[20]

ويكون ذلك أيضاً من فعل الله وإرادته –كما تنص الآية الكريمة–لا من ضعف ذاكرة حاشا لله.

والنسخ فى القرآن الكريم على ثلاثة أنواع ،قال السيوطى:"النسخ فى القرآن على ثلاثة أضرب:الضرب الأول ما نُسخ تلاوته وحكمه معًا،الضرب الثانى ما نُسخ حكمه وبقيت تلاوته،الضرب الثالث:ما نُسخ تلاوته وبقى حكمه"[21]

---

[19] الغنية فى أصول الدين (551/1)
[20] التفسير المنير (259/1)

من أمثلة الضرب الأول –نسخ التلاوة و الحكم– قالت عائشة –رضى الله عنها–:"نزل في القرآن عشر رضعات معلومات ثم نزل أيضا خمس معلومات"[22]

الأول هذا –عشر رضعات– نُسِخَ تلاوته وحكمه ،أما الثانى –خمس رضعات– فنُسخت تلاوته فقط.

ومن أمثلة الضرب الثانى –نسخ الحكم وبقاء التلاوة– قوله تعالى:{يَآأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا نَاجَيْتُمُ الرَّسُولَ فَقَدِّمُوا بَينَ يَدَى نَجوَاكُم صَدَقَةً ذُٰلِكَ خَيرٌ لَّكُم وَأَطهَرُ فَإِنلَّم تَجِدُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ }المجادلة (12)، نَسَخَ حكمها قوله تعالى :{أَأَشفَقتُم أَن تُقَدِّمُوا بَينَ يَدَى نَجوَاكُم صَدَقَاتٍ فَإِذ لَم تَفعَلُوا وَتَابَ اللَّهُ عَلَيكُم فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَاللَّهُ خَبِيرٌ بِمَا تَعمَلُونَ}المجادلة (13)[23].

ومن أمثلة الضرب الثالث –نسخ التلاوة و بقاء الحكم –آية الرجم [24] فمازال حكم رجم الزانى المحصن إلى يومنا هذا ولكن نُسِخت تلاوة هذا الحكم.

[21]مختصر الإتقان فى علوم القرآن (ص : 139 ، 140)

[22]صحيح مسلم (2635)– الإتقان فى علوم القرآن (58/2)

[23]بهذا قال قتادة فى الناسخ و المنسوخ (48/1)

[24]بهذا قال السيوطى –رحمه الله– أنظر مختصر الإتقان فى علوم القرآن (ص : 140)وسيأتى الرد على الشبهة المثارة حولها إن شاء الله تعالى.

أدلة النسخ:-

إنه لمن العجيب أن ترى من يطعنون فى أنه ثمة ناسخ ومنسوخ فى التشريع،وعجب ذلك أنك تسمعه من نصارى وملحدين وكأنهم المكلفون بحفظ هذا التشريع لنا،ولا يخفى عليك أيها اللبيب أن ذلك إنما ليوهموا العامة عند عرض آيات منسوخة تلاوتها على أنها آيات سقطت سهواً وتحريفاً من القرآن الكريم –حاشا لله– فإذا ما قلت نُسِخت تلاوتها، قالوا وهل من نسخ أصلا ؟ فهذا هو غرضهم فلتفطن لذلك،ولذا لم نجد بد هنا من عرض أدلة النسخ من القرآن والسنة وقد مرّ بك ما عرضناه من القرآن فلنعمد إلى السنة وكيف ذُكِرَ فيها ذلك صريحاً.

عن ابن عباس قال فى آية سورة البقرة (240):"نسخت هذه الآية عدتها عند أهله فتعتد حيث شاءت وهو قول الله تعالى (غير إخراج) قال عطاء إن شاءت اعتدت عند أهله وسكنت فى وصيتها وإن شاءت خرجت لقول الله تعالى (فإن خرجن فلا جناح عليكم فيما فعلن) قال عطاء ثم جاء الميراث فنسخ السكنى تعتد حيث شاءت."[25]

وعنه قال:"{ولكل جعلنا موالى}قال ورثة.{والذين عاقدت أيمانكم} كان المهاجرون لما قدموا المدينة يرث المهاجر الأنصارى دون ذوى رحمه للأخوة التى آخى النبى –صلى الله عليه وسلم– بينهم فلما نزلت {ولكل جعلنا موالى} نسخت،ثم قال{والذين عاقدت أيمانكم} من النصر،والرفادة والنصيحة،وقد ذهب الميراث ويوصى له"[26]

[25]صحيح أبى داود (259/2) / طبعة وزارة الأوقاف المصرية / قال الألبانى :صحيح .

[26]صحيح البخارى (1671/4) / دار ابن كثير –بيروت .

وعن أنس رضي الله عنه قال:"بعث النبي صلى الله عليه و سلم أقواما من بني سليم إلى بني عامر في سبعين فلما قدموا قال لهم خالي أتقدمكم فإن أمنوني حتى أبلغهم عن رسول الله صلى الله عليه و سلم وإلا كنتم مني قريبا فتقدم فأمنوه فبينما يحدثهم عن النبي صلى الله عليه و سلم إذ أومؤوا إلى رجل منهم فطعنه فأنفذه فقال الله أكبر فزت ورب الكعبة ثم مالوا على بقية أصحابه فقتلوهم إلا رجلا أعرج صعد الجبل –قال همام فأراه آخر معه– فأخبر جبريل عليه السلام النبي صلى الله عليه وسلم أنهم قد لقوا ربهم فرضي عنهم وأرضاهم فكنا نقرأ أن بلغوا قومنا أن لقينا ربنا فرضي عنا وأرضانا. ثم نسخ بعد فدعا عليهم أربعين صباحا على رعل وذكوان وبني لحيان وبني عصية الذين عصوا الله تعالى ورسوله صلى الله عليه و سلم" [27]

[27] صحيح البخارى (1031/3) / دار ابن كثير –بيروت .

كيف يُعرف النسخ ؟«كيف يُعرف أن حكم نسخه حكم» :-

يُعرف ذلك عن طريق خبر صحيح عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– أو خبر صحيح عن صحابى،ولا يُقبل فى نسخ الأحكام قول مُفسِر أو عالم أو إجتهاد مُجتهِد مهما بلغ ما لم يكن لديه الدليل على قوله من كلام النبى –صلى الله عليه وسلم– أو كلام صحابى، وهكذا تعلم أن النسخ ليس داخلاً فيه إجتهادات البشر أو أراءهم.

قال ابن الحصار:"إنما يرجع في النسخ إلى نقل صريح عن رسول الله أو عن صحابي يقول آية كذا نسخت كذا قال وقد يحكم به عند وجود التعارض المقطوع به من علم التاريخ ليعرف المتقدم والمتأخر، ولا يعتمد في النسخ قول عوام المفسرين بل ولا اجتهاد المجتهدين من غير نقل صحيح ولا معارضة بينة لأن النسخ يتضمن رفع حكم وإثبات حكم تقرر في عهده والمعتمد فيه النقل والتاريخ دون الرأي والاجتهاد"[28]

إذا علمت هذا، فهناك إشكالات فى فهم هؤلاء عن النسخ نتيجة لعدم إلمامهم بما تكلموا فيه وَجبَ علينا تبيانها ليفهموا ما سيأتى فى الردود عليهم كما أن هناك ما أوهموا به العوام على أنها إشكالات عقائدية كى ينفروهم من النسخ ويشنعوا على هذا العلم الذى بين رحمة الله بالعالمين وهذه سنتعرض لها بالرد وليست أساسية فى موضوع الكتاب وهو الرد على إدعاء التحريف، أما الإشكالات التى فى فهم المتكلم فهى إثنان.

[28]الإتقان فى علوم القرآن (66/2)

الإشكال الأول:

يقول تعالى: {مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ}[البقرة :106]

وهنا يثور سؤال لأعداء القرآن، فيقولون بجهالة: "إن القرآن يُصرح بأن لكل منسوخ ناسخ، لكن هناك الآيات المنسوخة فى القرآن لا نرى لها آيات ناسخة فى القرآن، فكيف هذا ؟

والجواب على هذا هو أن المعنى فى قوله تعالى: { نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا }أى فى الحكم، من تخفيف ومصلحة للعباد، وليس بتلاوة خيراً منها، إذ ذاك يمتنع كون القرآن كله معجز، أى ليس المعنى أن يأتى بآيةتتلى خير منها، ولكن بحكم أخف لكم وأكثر فى المصلحة، ولما كان المقصود الإتيان بخير منها فى الحكم، جازأن يأتى ذلك الحكم من طريق السنة، لجواز نسخ القرآن بالسنة، فكلاهما وحى من الله.

قال الجصاص:"وأما قوله {نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا} فإنه روى عن ابن عباس وقتادة بخير منها لكم في التسهيل والتيسير كالأمر بأن لا يولي واحد من عشرة في القتال ثم قال{الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ} أو مثلها كالأمر بالتوجه إلى الكعبة بعد ما كان إلى البيت المقدس،وروى عن الحسن بخير منها في الوقت في كثرة الصلاح أو مثلها، فحصل من اتفاق الجميع أن المراد خير لكم إما في التخفيف أو في المصلحة ولم يقلأحد منهم خير منها في التلاوة،إذ غير جائز أن يقال أن بعض القرآن خير من بعض في معنى التلاوة و النظم إذ جميعه معجز كلام اللّه،قال أبو بكر:"وقد احتج بعض الناس في امتناع جواز نسخ القرآن بالسنة لأن السنة على أى حال كانت لا تكون خيرا من القرآن وهذا إغفال من قائله من وجوه أحدها:أنه غير جائز أن يكون المراد بخير منها في التلاوة والنظم لاستواء الناسخ

والمنسوخ في إعجاز النظم . والآخر:اتفاق السلف على أنه لم يرد النظم لأن قولهم فيه على أحد المعنيين إما التخفيف أو المصلحة، وذلك قد يكون بالسنة كما يكون بالقرآن ولم يقل أحد منهم أنه أراد التلاوة، فدلالة هذه الآية على جواز نسخ القرآن بالسنة أظهر من دلالتها على امتناع جوازه بها"[29]

وقال القرطبي:"وحذاق الأئمة على أن القرآن ينسخ بالسنة، وذلك موجود في قوله عليه السلام:"لا وصية لوارث"،وهو ظاهر مسائل مالك، وأبى ذلك الشافعي وأبو الفرج المالكي،والأول أصح،بدليل أن الكل حكم الله تعالى ومن عنده وإن اختلفت في الأسماء. وأيضا فإن الجلد ساقط في حد الزنى عن الثيب الذييرجم، ولا مسقط لذلك إلا السنة فعل النبي صلى الله عليه وسلم، وهذا بين.والحذاق أيضا على أن السنة تنسخ بالقرآن وذلك موجود في القبلة،فإن الصلاة إلى الشام لم تكن في كتاب الله تعالى"[30]

ودليل ذلك كما قال القرطبي حديث: " لا وصية لوارث " نسخ قوله تعالى: { كُتِبَ عَلَيْكُمْ إِذَا حَضَرَ أَحَدَكُمُ الْمَوْتُ إِنْ تَرَكَ خَيْرًا الْوَصِيَّةُ لِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ}

الإشكال الثاني:

وهو منسوخ التلاوة، وفيه يسأل أعداء الإسلام سؤالًا يفضح جهلهم، إذ يقولون:ما الدليل على منسوخ التلاوة هذا ؟ وهل قال به نبيكم –صلى الله عليه و سلم– ؟ وكأنهم أطبقوا على السنة !

---

[29] أحكام القرآن للجصاص (73/1)

[30] الجامع لأحكام القرآن (65/2-66)

والإجابة على ذلك تعرفها فى الحديث التالى الذى يحكى نسيان الرسول – صلى الله عليه و سلم – لآية فى صلاة الفجر أثناء تلاوته، ثم سؤال أُبى بن كعب عن كونها نُسِخت أم نساها – صلى الله عليه و سلم – فيقول سعيد بن عبد الرحمن بن أبزى، عن أبيه:أن النبي صلى الله عليه وسلم صلى في الفجر فترك آية، فلما صلى قال:" أفي القوم أبي بن كعب؟"قال أبي:يا رسول الله نسخت آية كذا وكذا، أو نسيتها؟ قال :"نسيتها"[31]

فانظر إلى هذا الحديث والفائدة التى ينطوى عليها من كون أُبى سأله و هو –صلى الله عليه و سلم–كان يتلوها فى الصلاة، أنُسِخت أم نساها، فبهذا تقوم حجتنا على وقوع نسخ التلاوة، وإلا لرده –صلى الله عليه و سلم– عن مثل هذا القول، وإرجع –غير مأمور– أيضاً إلى الحديث السابق ذكره عن أنس بن مالك رضى الله عنه– فى أدلة النسخ من السنة، فإنه قاطع الدلالة على ذلك.

وبهذا ينتهى الإشكالان اللذان فى مخيلتهم والتى بدحضها يُمكنهم فهم الرد على مزاعمهم تحريف القرآن، أما الإشكالات الآخرى التى يطرحونها كإشكالات عقائدية تشنيعاً على هذا العلم وتنفيراً منه هى قولهم أولاً بأن النسخ بداء، وهنا لابد أن يُعلم ما هى حكمة النسخ.

[31] قال الألبانى : صحيح (الإرواء 1655 ، المشكاة 3073)

حكمة النسخ:-

والذى أنكره اليهود بجهلٍ منهم بزعم أنه بداء على الله حاشا لله! النسخ ليس بداء،وإنما هو إزالة الحكم والمجيء بحكم آخر، فساعة حكم الله الحكم أولًا فهو سبحانه يعلم أن هذا الحكم له وقت محدود ينتهي فيه ثم يحل مكانه حكم جديد، ولكن الظرف والمعاجلة يقتضيان أن يحدث ذلك بالتدريج .

قال أبو سعيد بن محمد:"النسخ ليس هو بداء لأن معنى البداء استفادة علم لم يكن وقد يكون عبارة عمن يهم بأمر ويقصده ثم يندم على ما قدم،ولا يتحقق ذلك في وصفه سبحانه لأن علم الباري متعلق بجملة المعلومات على ما هي عليه لا يتجدد له علم لم يكن وليس له تعلق بالإرادة"[32]

وقال القرطبى:"وليس هذا من باب البداء بل هو نقل العباد من عبادة إلى عبادة،وحكم إلى حكم،لضرب من المصلحة،إظهارا لحكمته وكمال مملكته.ولا خلاف بين العقلاء أن شرائع الأنبياء قصد بها مصالح الخلق الدينية والدنيوية ،وإنما كان يلزم البداء لو لم يكن عالمًا بمال الأمور،وأما العالم بذلك فإنما تتبدل خطاباته بحسب تبدل المصالح، كالطبيب المراعي أحوال العليل،فراعى ذلك في خليقته بمشيئته وإرادته،لا إله إلا هو،فخطابه يتبدل،وعلمه وإرادته لا تتغير،فإن ذلك محال في جهة الله تعالى"[33]

[32] الغنية فى أصول الدين (156/1)
[33] الجامع لأحكام القرآن (63/2-64)

بدليل قوله تعالى: {وَاللَّاتِي يَأْتِينَ الْفَاحِشَةَ مِنْ نِسَائِكُمْ فَاسْتَشْهِدُوا عَلَيْهِنَّ أَرْبَعَةً مِنْكُمْ فَإِنْ شَهِدُوا فَأَمْسِكُوهُنَّ فِي الْبُيُوتِ حَتَّى يَتَوَفَّاهُنَّ الْمَوْتُ أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا }النساء 15
فقوله تعالى: {أَوْ يَجْعَلَ اللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلًا}

فيه الدلالة على علم الله السابق بأن هذا الحكم سيتغير وبذلك يرد على اليهود الذين أنكروا النسخ جهلاً منهم أنه –حاشا لله – بداء على الله، فجاء رسول الله –صلى الله عليه و سلم– فقال:"خذوا عني خذوا عني قد جعل الله لهن سبيلا البكر بالبكر جلد مائة ونفي سنة والثيب بالثيب جلد مائة والرجم"[34]قال ابن عباس :"نسخ حبس المحصنة بالرجم"[35]

مثال ذلك تحريم الخمر الذى جاء تدريجيًا ولو كان حُرِم تحريمًا قاطعًا بادىء ذى بدء لكان ذلك شاقًا على نفوس المسلمين الذين إعتادوا على الخمر بناءًا على مجتمعهم الجاهلى الذى عاشوا فيه قبل الإسلام،
فقال تعالى:{يَسْأَلُونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا}البقرة 219 ، فهنا لم يحدث التحريم بدايةً و لكن قوله تعالى: { فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ} جعل كثير من المسلمين فى ذلك الوقت يجتنبونها لإثمها، وقال البعض نأخذ نفعها و نبتعد عن إثمها.

ثم يقول تعالى: {يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْرَبُوا الصَّلَاةَ وَأَنْتُمْ سُكَارَى}النساء 43، والمسلم يُصلى خمس صلوات فى اليوم و الليلة متفرقة، فلكى يفعل ما يأمره الله به فسيصبح شرب الخمر أقل بكثير مما كان عليه الأمر كى لا يقرب الصلاة سكيرًا،و قد ينتهى عنها الكثير من المسلمين لقلتهم فى تناولها كى لا تُفسَد صلاته.

[34]صحيح مسلم (3199)
[35]تنوير المقباس من تفسير ابن عباس (66/1)

ثم يأتى التحريم القاطع فيقول تعالى:{ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّمَا الْخَمْرُ وَالْمَيْسِرُ وَالْأَنْصَابُ وَالْأَزْلَامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ فَاجْتَنِبُوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ } المائدة 90، فهنا يقع التحريم النهائى و تنسخ تلك الآية ما سبقها بعد أن تتدرب النفوس على الطاعة كى لا تُصبح شاقة عليهم فينتهى الجميع عنها، فأهرقها الصحابة فى سكك المدينة.

عن أنس رضي الله عنه قال:" كنت ساقي القوم في منزل أبي طلحة وكان خمرهم يومئذ الفضيخ فأمر رسول الله صلى الله عليه وسلم منادياً ينادي ألا إن الخمر قد حرمت قال فقال لي أبو طلحة اخرج فأهرقها فخرجت فهرقتها فجرت في سكك المدينة"[36]

وهذا ما أوضحته أم المؤمنين عائشة – رضى الله عنها– قالت:"إنما نزل أول ما نزل منه – أى القرآن – سورة من المُفَصّل فيها ذكر الجنة والنار حتى إذا ثاب الناس إلى الإسلام نزل الحلال والحرام ولو نزل أول شيءلا تشربوا الخمر لقالوا لا ندع الخمر أبدا ولو نزل لا تزنوا لقالوا لا ندع الزنا أبدا"[37]

وبذلك فقد إنتهينا مما أشكلوه إشكالاً أول وهو القول بأن النسخ بداء –حاشا لله– ولننتقل لما أشكلوه إشكالاً ثانياً وهو وضعهم لآيات يدعون فيها أنها مناقضة للقول بالنسخ فيسألون كيف يحتوى القرآن على النسخ فى وجود هذه الآيات التى تنافى القول بالنسخ – بزعمهم–وهم يقتطفون هذه الآيات من سياقها ليتوهم السامع أو القارىء صحة قولهم.

[36]صحيح البخارى (2284)

[37]صحيح البخارى (4609)

آيات يتوهم المتكلم أنها تتناقض مع القول بالنسخ:-

{لَامُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ } الأنعام ،{ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ } يونس،{لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ } الأنعام،{لَامُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ} الكهف

أولاً النسخ ليس تبديل من الله لكلامه بأن بدا له شيئاً فغير ما كان قبلاً،بل إقتلعنا هذه الشبهة من جذورهافيما تقدم،ولن نعود للكلام على هذا مرة آخرى،ثانياً الذى يورد هذه الآيات يوردها هكذا مقتطفة دونأن يضع الآيات كاملة،ولنوضح كل آية نضعها فى سياقها.

قال تعالى:{وَلَقَدْ كُذِّبَتْ رُسُلٌ مِنْ قَبْلِكَ فَصَبَرُوا عَلَى مَا كُذِّبُوا وَأُوذُوا حَتَّى أَتَاهُمْ نَصْرُنَا وَلَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ وَلَقَدْ جَاءَكَ مِنْ نَبَإِ الْمُرْسَلِينَ}الأنعام : 34

هنا يتضح من سياق الآيات أن الله يُبشر نبيه بالنصر على كل من كذبه، ولذا أكد وعده بقوله تعالى:{ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ }أى من وعده سبحانه و تعالى إياه –صلى الله عليه وسلم– بالنصر،قال الطبرى : "{ولا مبدّل لكلمات الله}،يقول:ولا مغيِّر لكلمات الله،و"كلماته" تعالى ذكره:ما أنزل الله إلى نبيه محمد صلى الله عليه وسلم،من وعده إياه النصر على من خَالفه وضادّه، والظفرَ على من تولّى عنه وأدبر"[38]

قال تعالى:{أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغِي حَكَمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا وَالَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ يَعْلَمُونَ أَنَّهُ مُنَزَّلٌ مِنْ رَبِّكَ بِالْحَقِّ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ وَتَمَّتْ كَلِمَتُ رَبِّكَ صِدْقًا وَعَدْلًا لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَهُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ}الأنعام : 114 – 115

[38]جامع البيان فى تأويل القرآن (335/11)

الكلام هنا على التعقيب على حكم الله بأن نُغير الأحكام التى أقرها لنا الله ونختار حكم غيره من البشر، أماالنسخ فالحكم الناسخ والحكم المنسوخ كلاهما من الله تبارك و تعالى، يقول ابن كثير: "{لا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ}أي : ليس أحد يُعقِّبُ حكمه تعالى لا في الدنيا ولا في الآخرة"[39]

قال تعالى:{أَلَا إِنَّ أَوْلِيَاءَ اللَّهِ لَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا وَكَانُوا يَتَّقُونَ لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ ذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ}يونس : 64 – 63

الكلام هنا على بشرى سيؤتيها الله لأولياءه الصالحين عند موتهم ويوم البعث، ووعده هذا بتلك البشرى لا يُغير ولا يُبدل لذا قال:{ لَا تَبْدِيلَ لِكَلِمَاتِ اللَّهِ }، قال القرطبى:" ولهذا قال:{لا تبديل لكلمات الله}أي لا خلف لمواعيده، وذلك لان مواعيده بكلماته{في الآخرة} قيل: بالجنة إذا خرجوا من قبورهم.وقيل: إذا خرجت الروح بشرت برضوان الله"[40]

قال تعالى:{وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تِسْعًا قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا لَهُ غَيْبُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَبْصِرْ بِهِ وَأَسْمِعْ مَا لَهُمْ مِنْ دُونِهِ مِنْ وَلِيٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا وَاتْلُ مَا أُوحِيَ إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لَا مُبَدِّلَ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا }الكهف : 27 – 25

هذه الآيات جاءت من تتمة قصة أهل الكهف، وهى إخبار من الله تعالى أن الحق فى القصة هو ما قاله، ولا خلف فيما أخبر به، يقول القرطبى:"قوله تعالى: {واتل ما أوحي إليك

---

[39]تفسير ابن كثير (322/3)

[40]الجامع لأحكام القرآن (359/8)

من كتاب ربك لا مبدل لكلماته} قيل : هو من تمام قصة أصحاب الكهف، أي اتبع القرآن فلا مبدل لكلمات الله ولا خلف فيما أخبر به من قصة أصحاب الكهف"[41]

وبذلك فقد إنتهينا مما أشكلوه إشكالاً ثانياً وهو السؤال كيف يحتوى القرآن على النسخ فى وجود هذه الآيات التى تنافى القول بالنسخ –بزعمهم–وبينّا خطأ قولهم وأنهينا هذا الإشكال،لكن الطاعن لا ينتهى بل يبحث عن أسئلة آخرى ليستشكل بها هذا العلم،فيسأل ما الحاجة لرفع تلاوة الحكم طالما العمل به جارى، وإن كان ذلك كذلك،فلِمَ لم تُرفع تلاوة الأحكام التى نسختها أحكام آخرى ؟

وهذه الأسئلة مما أُجيب عنها من قرونٍ مضت، قال السيوطى:"وأجاب صاحب الفنون بأن ذلك ليظهر به مقدار طاعة هذه الأمة في المسارعة إلى بذل النفوس بطريق الظن من غير استفصال لطلب طريق مقطوع به فيسرعون بأيسر شيء كما سارع الخليل إلى ذبح ولده بمنام والمنام أدنى طريق الوحي"[42]

وقال السيوطى فى الإجابة عن السؤال الثانى:" فإن قلت ما الحكمة في رفع الحكم وبقاء التلاوة فالجواب من وجهين:أحدهما أن القرآن كما يتلى ليعرف الحكم منه والعمل به فيتلى لكونه كلام الله فيثاب عليه فتركت التلاوة لهذه الحكمة،والثاني أن النسخ غالبا يكون للتخفيف فأبقيت التلاوة تذكيرا للنعمة ورفع المشقة"[43]

وبعد فقد تبقت إشارة بسيطة لأهمية الكلام على النسخ فى كتاب الله تعالى ولِمَ أوردته هنا، وهو أننى إهتممت بذلك لبيان أن من أقسام النسخ منسوخ التلاوة وقد قدمتُ الأدلة سابقاً

[41] الجامع لأحكام القرآن (389/10)
[42] الإتقان فى علوم القرآن (66/2)
[43] الإتقان فى علوم القرآن (63/2)

على وقوعه من السنة الصحيحة، فلا يعترض عليه إلا مُعانِد غرضه الطعن فى القرآن ليس إلا فلا يُلتفت إلى كلامه ولا يعول عليه، ولكن كان يلزم الكلام على النسخ عامةً ليفهم المُستشكِل ما هو منسوخ التلاوة، فلا يصح أن أحدثه عن منسوخ التلاوة وهو لا يعلم ما هو النسخ أصلا.

ثم إن أهمية بيان منسوخ التلاوة تكمن فى الرد على شبهات الزائغين الذين يوردون أحاديث صحيحة لا نُمارى ولا نشك فى صحتها عن آيات كان يقرأها الصحابة وقرأها النبى –صلى الله عليه وسلم – على بعض أصحابه، ثم يسألون أين هى هذه الآيات من القرآن الآن ؟فالجواب عن ذلك أنها من منسوخ التلاوة وسنُقدِم الأدلة على هذا فى حينه بإذن الله.

ويجب الانتباه للتفريق بين كيفية معرفة نسخ الأحكام وكيفية معرفة نسخ التلاوة، أما نسخ الأحكام فقد تقدم من كلام ابن الحصار [44] وهو النقل الصحيح عن رسول الله – صلى الله عليه وسلم – أو صحابى، أما منسوخ التلاوة فسيأتى الكلام عليه فى حينه بإذن الله .

---

[44] راجع ص 25 من هذا الكتاب

الفصل الثانى :

الأحرف السبعة

مدخل إلى الأحرف السبعة :-

كَثُرَ الكلام حول الأحرف السبعة، وكثرت حولها الأباطيل التى أدت إلى الطعن فى القرآن الكريم من قِبل من لا يعلمون حقيقة هذا الأمر، وكان من أسباب ذلك كثرة التفسير لمعنى الأحرف السبعة الواردة فى أحاديث رسول الله –صلى الله عليه وسلم – ممن لم يُعمِل النظر فى الأحاديث والقرائن التى جاءت فى سياقها ولا حتى فى الكلام الذى فَسَرَ به معنى الأحرف السبعة نفسه، فالغالبية العظمى من كلام من فسر معنى الأحرف السبعة لا يستقيم أبداً مع القرآن الكريم نفسه ولا مع سياق الأحاديث، بل وأغلب كلام العلماء نقلاً عن من هم ليسوا بأصحاب علم.

قال محمد سالم: " ومن يطالع مصنفات هؤلاء العلماء يجد العجب العجاب حيث إن الكثيرين من هؤلاء المصنفين يجعل كلّ همه نقل العديد من الآراء حتّى ولو كانت غير معزوّة إلى أحد من العلماء"[45]

فمن هؤلاء مثلاً الإمام السيوطى –رحمه الله– فى الإتقان نقل لها أربعين قولاً دون أن يُميز القول الصحيح، وبالتالى ظن الطاعنون فى أنفسهم لما رؤوا كثرة هذه الأقوال أن المسلمين لا حول لهم ولا قوة فى بيان ماهية الأحرف السبعة أو أى شيء مما يتعلق بها ولكن هيهات هيهات؛ فقد كانت الأحاديث الواردة فى ذلك كثيرة، يخرج منها الناظر بفوائد عديدة .

فعن عمر بن الخطاب أنه قال: " سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة، لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فكدت أساوره في الصلاة، فانتظرته حتى سلم

[45] الهادى شرح طيبة النشر فى القراءات العشر (22/1)

فلببته، فقلت: من أقرأك هذه السورة التي سمعتك تقرأ ؟ قال: أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم، فقلت له: كذبت، فوالله إن رسول الله صلى الله عليه وسلم لهو أقرأني هذه السورة التي سمعتك، فانطلقت به إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم أقوده، فقلت: يا رسول الله، إني سمعت هذا يقرأ سورة الفرقان على حروف لم تقرئنيها، وإنك أقرأتني سورة الفرقان، فقال: "يا هشام أقرأها"فقرأها القراءة التي سمعته، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم " هكذا أنزلت"، ثم قال: "اقرأ يا عمر" .فقرأته التي أقرأنيها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "هكذا أنزلت". ثم قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: "إن القرآن أنزل على سبعة حروف، فاقرؤوا ما تيسر منه"[46]

فمن أعمل النظر فى سياق الحديث يجد أن المشكلة بين الصحابة الذين ترافعوا إلى النبى –صلى الله عليه وسلم– هى قراءة أحرف لا سواها من العلوم، فمن ذلك قول عمر –رضى الله عنه–: "سمعت هشام بن حكيم بن حزام يقرأ سورة الفرقان في حياة رسول الله صلى الله عليه وسلم، فاستمعت لقراءته، فإذا هو يقرؤها على حروف كثيرة، لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم"[47]

فوضح من ذلك أن إشكال عمر –رضى الله عنه– مع هشام –رضى الله عنه– كان فى قراءة أحرف لا غير، وبالتالى فالأحرف السبعة وثيقة الصلة بطرق قراءة القرآن لا غير، وعلى ذلك لابد أن يجرى البحث، ولذا كان علماء القراءات أكثر حظاً ممن سواهم وأسعد من غيرهم بمعرفة معنى الأحرف السبعة فهي صنعتهم التى يجب أن تُرد إليهم .

[46]صحيح البخارى (2491)
[47]صحيح البخارى (2491)

ولهذا قال الزرقانى: " المراد بالأحرف في الأحاديث السابقة وجوه في الألفاظ وحدها لا محالة، بدليل أن الخلاف الذي صورته لنا الروايات المذكورة كان دائراً حول قراءة الألفاظ لا تفسير المعاني مثل قول عمر: "إذ هو يقرؤها على حروف كثيرة لم يقرئنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم" ثم حكم الرسول أن يقرأ كل منهما وقوله صلى الله عليه وسلم: "هكذا أنزلت"، وقوله: "أي ذلك قرأتم فقد أصبتم" ونحو ذلك ولا ريب أن القراءة أداء الألفاظ لا شرح المعاني"[48]

ولذا سيكون بحثنا على الأقوال المتعلقة بالقراءة لا بغيرها من الأقوال الآخرى الكثيرة فهى غير صحيحة ولا جدوى من مناقشتها، قال ابن حجر: "ذكر القرطبي عن ابن حبان أنه بلغ الإختلاف في معنى الأحرف السبعة إلى خمسة وثلاثين قولا ولم يذكر القرطبي منها سوى خمسة وقال المنذري أكثرها غير مختار"[49]

ولا يخفى ضعف هذه الأقوال على من أعمل ناظريه فيها؛ لمخالفتها للقرآن ذاته وكونها إبتعدت عن تحديد الأحرف السبعة فى المعنى المذكور قبلاً، وهو كونها طريقة فى القراءة لا محالة؛ لِمَا قام عليه الدليل فيما سبق .

[48]مناهل العرفان (152/1)

[49]فتح البارى (23/9)

الطريق إلى تحديد الأحرف السبعة ومعرفة معناها :-

جاء فى توضيح الأحرف السبعة بعض الآثار عن الصحابة خاصةً عبد الله بن مسعود –رضى الله عنه– جعلها بعض الأئمة المتقدمون عمدتهم فى تحديد الأحرف السبعة، فمن ذلك قوله –رضى الله عنه–: "إني سمعت القراء فوجدتهم متقاربين، فاقرؤوا كما علمتم، وإياكم والتنطع، فإنما هو كقول أحدكم: هلم وتعال"[50]

وسيكون هذا الآثر هو عمدتنا كذلك فى تحديد الأحرف السبعة، ولا مفر الآن من البدء بالقول الذى يوده الطاعنون ويشتهيه الزائغون؛ إذ هو القول الذى يؤيده فى الظاهر آثر ابن مسعود –رضى الله عنه– ذاك، لكن هذا القول سيكون هو السبيل الممهدة والطريق المعبدة فى صحراءهم القاحلة إلى بئرٍ مملوءة بما يروى ظمأهم ويشفى غليلهم .

قال الطبرى: "الأحرف السبعة التي أنزل الله بها القرآن، هنّ لغات سبع، في حرف واحد، وكلمة واحدة، باختلاف الألفاظ واتفاق المعاني، كقول القائل: هلم، وأقبل، وتعال، وإليّ، وقصدي، ونحوي، وقربي، ونحو ذلك، مما تختلف فيه الألفاظ بضروب من المنطق وتتفق فيه المعاني، وإن اختلفت بالبيان به الألسن"[51]

وهذا القول هو ما يحبذه كل طاعن فى القرآن الكريم؛ إذ أنه بناءًا على هذا القول فقد تبقى لدينا نحن المسلمين اليوم من تلك الأحرف حرف واحد فقط؛ إذ ليس من بين أيدينا ما إدعاه الطبرى؛ فلا داعى بعد ذلك أن نقول لهم كتبكم محرفة فعجزهم المعتاد سيسلمهم لقول واحد هو: وكتابكم –أى القرآن– كان سبعة كتب ضاع منها ستة وتبقى واحد، هذا

---

[50] راجع حاشية مسند أحمد ط الرسالة (147/34) قال الأرنؤوط : أخرجه الطبري في مقدمة "تفسيره" 22/1، والطبراني في "الكبير" (8680) ، وإسناده صحيح.

[51] جامع البيان فى تأويل القرآن (58/1)

أصبح فى الأونة الأخيرة الحل الذهبى لمشكلة تحريف كتب اليهود والنصارى؛ وكأن التحريف أمر لا مشكلة فيه أصلاً كما ترى من هذا الرد المتخاذل !

فبناءًا على هذا القول يصير الإدعاء بحذف عثمان –رضى الله عنه– ستة أحرف أمر مسلم كما قال الزركشى لما وافق عليه الطبرى فيما ذهب إليه من تحديد الأحرف السبعة قائلاً: "وهذا كله يدل على أن السبعة الأحرف التي أشير إليها في الحديث ليس بأيدي الناس منها إلا حرف زيد بن ثابت الذي جمع عثمان عليه المصاحف"[52]

فلو سَلِمَ لهم قولهم فى تحديد الأحرف السبعة؛ فلا مناص من الإعتراف بحذف عثمان –رضى الله عنه– ستة أحرف ولكن هيهات؛ فإن كان الأمر كما زعموا فحل المشكلة من اليسر بمكان؛ فبالمقارنة بين ما كُتب فى المصحف وهو ذاك الحرف، ومالم يُكتب وهى تلكم الأحرف الآخرى، يثبُت لنا إن كان هذا القول صحيح أم لا.

لكن بالمقارنة يتضح أن الخلاف بين هذه وتلك لم يكن فى إختلاف الألفاظ فى الكلمة الواحدة فحسب بل تعداه لأكثر من هذا مما يُسقط ذلك الإدعاء، وهذا ما سنعرج عليه لاحقاً فلا يُخالفنا فيه مسلم؛ فهذا ما قام به الأئمة من أصحاب هذا القول كالطبرى، لكن الأمر ليس كذلك مع الملاحدة والمستشرقين وأذنابهم النصارى فإعتقاد هؤلاء أمر آخر، رغم أن الذى يجب عليهم فى هذا المجال هو محاججتنا بما نعتقد نحن لا بما يعتقدوا هم وإلا فلا قيمة لشبهاتهم كما لا قيمة لهم، لكن لا بأس .

فإعتقادهم أن عثمان –رضى الله عنه– لما قام بإحراق مصاحف وصحف الصحابة المحتوية على تلك الأحرف ما عاد لها –أى تلك الأحرف– وجود وإنمحت، وبذلك فقد جمع

---

[52] البرهان فى علوم القرآن (222/1)

الناس على مصحف واحد يحتوى على حرف واحد هو حرف زيد بن ثابت؛ وبالتالى فقد أصبح تحديد تلك الأحرف من المستحيل بمكان لضياعها فى محرقة المصاحف كما يُطلقون عليها؛ فمن أين نحصل عليها للخروجِ بالخلاف بينها ؟

لكننا فى سبيل تحديد تلك الأحرف –لهم لا للمسلمين– نسلك –مجاراةً منا– نفس المسلك الذى سلكوه فى إدعاء أن ما اسموه محرقة المصاحف أدت إلى ضياع الأحرف الستة الآخرى، فنقول: هناك الكثير من القراءات الشاذة التى لم تثبت فى المصحف العثمانى، وعثمان –رضى الله عنه– إنما أحرق المصاحف كما قررتم كى لا يبقى لما يُخالف مصحفه آثرا، فلِمَ لم يعد لتلك الأحرف –كما زعمتم– أثراً بناءًا على حرق عثمان –رضى الله عنه– المصاحف وتبقت تلك القراءات الشاذة التى هى مخالفة لمصحفه وكانت أحد الأسباب الداعية إلى (محرقة) المصاحف ؟!

فإن كان الحرق تسبب فى ضياع الأحرف الستة الآخرى؛ فكان يجب أن يتسبب فى ضياع القراءات الشاذة هذه كذلك؛ لما جاء عن أنس بن مالك قال: " حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق"[53]

فالحرق إذاً كان لكل ما سوى مصاحفه؛ وتلك القراءات الشاذة ليست من مصاحفه .

---

[53]صحيح البخارى (4604)

الحل لدى الملاحدة وأذنابهم بسيط كالعادة؛ وهو الزعم بأن ذلك قرآن قد بُدِلَ أو سقط[54] فى نسخ عثمان للمصاحف؛ أو يزعمون أن هذا قد أسقطوه أو بدلوه عمداً ! فالكلام بلا دليل سهل .

فإن قالوا بذلك، قلنا: كذبتم ولا تملكون ولو نصف برهان على هذا الإدعاء؛ بل إن ما ورد من أحاديث صحيحة يُثبت خلاف ذلك ويسقطه بالكلية، فقد جاء فى الصحيح أن إعتماد عثمان –رضى الله عنه– فى نسخ المصاحف إنما كان على ما جُمِعَ فى عهد أبى بكر الصديق –رضى الله عنه–

فعن أنس بن مالك –رضى الله عنه– قال: "فأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف"[55]

فلا يزعم زاعم بعد ذلك أن عثمان –رضى الله عنه– قد أغفل شيئاً من القرآن لم يكتبه أو غير أو بدل فيه، فكذلك قد جاء فى الصحيح عن ابن أبي مليكة قال: " قال ابن الزبير قلت لعثمان هذه الآية التي في البقرة {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا إلى قوله غير

[54] ذلك أنك ستعلم فيما بعد أن القراءات تختلف عن بعضها البعض وهذا الإختلاف قد يكون تبديل أو حذف وكله قرآن لا يُمارى فيه

[55] صحيح البخارى (4604)

إخراج} قد نسختها الأخرى فلم تكتبها قال تدعها يا ابن أخي لا أغير شيئا منه من مكانه"[56]

إذاً فالنتيجة الوحيدة التي يمكن الخروج بها من تلك المناقشة أن تلك القراءات الشاذة تعود إلى الأحرف الستة الآخرى، نقول هذا تنزلاً على فرض أن جمع عثمان كان على حرف واحد وأن الخلاف بينها هو إختلاف ألفاظ فى الكلمة الواحدة كما قاله الطبرى وغيره.

لكن عند تتبع ما لم يُكتب فى المصحف العثمانى –الشاذ– لا نرى الخلاف بينها فيما بينها البعض وكذلك بينها وبين ما كُتِبَ محصوراً فقط فيما صوره من زعم أن الأحرف السبعة هى ألفاظ سبعة فى الكلمة الواحدة نحو أقبل وتعال وهلم وعجل ... إلخ، كما قاله الطبرى: "كالذي رَوَينا آنفًا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم، وعمن روينا ذلك عنه من الصحابة، أن ذلك بمنزلة قولك: "هلمّ وتعالَ وأقبل"، وقوله "ما ينظرون إلا زَقيةً"، و "إلا صيحة""[57]

فالطبرى هنا لم يخرج سوى بلفظين فى تلك الكلمة (صيحة) قد قُرِأت بهما، ولم يصل إلى سبعة ألفاظ .

وكذا الزركشى قال: "وروي ذلك عن ابن مسعود وأبي بن كعب أنه كان يقرأ {لِلَّذِينَ آمَنُوا انْظُرُونَا} أمهلونا أخرونا ارقبونا و{كُلَّمَا أَضَاءَ لَهُمْ مَشَوْا فِيهِ} مروا فيه سعوا فية"[58]

---

[56] صحيح البخارى (4172)

[57] جامع البيان فى تأويل القرآن (58/1)

[58] البرهان فى علوم القرآن (221/1)

ولم يخرج كذلك بسبعة ألفاظ فى تلك الكلمات فلا يوجد ذلك الذى إدعوه إلا فى كلمات يسيرة جداً .

قال ابن عبد البر : "وأجمعوا على أن القرآن لا يجوز في حروفه وكلماته وآياته كلها أن تقرأ على سبعة أحرف ولا شيء منها ولا يمكن ذلك فيها بل لا يوجد في القرآن كلمة تحتمل أن تقرأ على سبعة أوجه إلا قليل مثل {وَعَبَدَ الطَّاغُوتَ} و{تَشَابَهَ عَلَيْنَا} و{بِعَذَابٍ بَئِيسٍ} ونحوه وذلك ليس هذا"[59]

وقال ابن الجزرى: "على أنه ليس المقصود أن يكون الحرف الواحد يقرأ على سبعة أوجه، إذ لا يوجد ذلك إلا في كلمات يسيرة نحو أف، وجبريل، وأرجه، وهيهات، وهيت"[60]

وهذا أول دليل على فساد هذا الزعم، فالكلمات التى قُرِأت على سبعة ألفاظ يسرة جداً، كما أنه لا تزال هناك إختلافات آخرى بين ما كُتِبَ –الصحيح– ومالم يُكتب –الشاذ– من مثل: "وجاءت سكرة الموت بالحق" هى هكذا فى المصحف العثمانى، لكن فى قراءة آخرى لم تُكتب فيه هى "وجاءت سكرة الحق بالموت" [61]، كذلك فى المصحف العثمانى "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم" لكن قراءة آخرى لم تُكتب فيه جاءت "ليس عليكم جناح أن تبتغوا فضلا من ربكم في مواسم الحج"[62] بزيادة فى مواسم الحج .

وهذه الأمثلة وغيرها دليل على فساد هذا الزعم كذلك؛ فلاتزال الإختلافات أكثر من مجرد إبدال كلمة بكلمة، كما أن هذا الإبدال لن يصل إلى سبعة ألفاظ إلا فى كلمات يسيرة،

---

[59] البرهان فى علوم القرآن (223/1)
[60] النشر فى القراءات العشر (24/1)
[61] جامع البيان فى تأويل القرآن (346/22) من قراءة أبى بكر
[62] ذكرها ابن حجر فى فتح الباري (595/3) وذكرها باسناد صحيح عن الطبرى إلى عكرمة

لكن مع فساده فهو ناجع جداً فى الوصول لتحديد تلك الأحرف، فالمقارنة بين مالم يُكتب بعضه ببعض وكذا مع ما كُتِبَ هو السبيل للوصول لتحديد تلك الأحرف، ومن خالفنا فى ذلك فعليه بالمناقشة السابقة .

فإذاً تتبع القراءات شاذها وصحيحها لمعرفة وجوه الإختلاف بينها هو السبيل الممهدة والطريق المعبدة لتحديد الأحرف السبعة من خلال تلك الوجوه من الإختلاف بين القراءات .

فإن قيل: فما هو توجيه قول ابن مسعود –رضى الله عنه–: "إني سمعت القراء فوجدتهم متقاربين، فاقرؤوا كما علمتم، وإياكم والتنطع، فإنما هو كقول أحدكم: هلم وتعال"[63]

قيل: أن هذا الكلام من قبيل التشبيه وحسب لا من قبيل الحصر والقصد منه التوضيح بعدم وجود تضاد بين تلك الأحرف، قال الزرقانى: "أن ما ذكر في هذه الأحاديث ليس من قبيل حصر الأحرف السبعة فيها وفي نوعها وحده حتى يصح الاستدلال بها على ما ذهبوا إليه بل هو –كما قال ابن عبد البر– من قبيل ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها وأنها معان متفق مفهومها مختلف مسموعها لا يكون في شيء منها معنى وضدة"[64]

والواقع يشهد بذلك كما سبق وأشرنا؛ فلا توجد كلمة فى القرآن قُرِأَت على سبعة ألفاظ مختلفة إلا كلمات يسيرة كما ذكرها ابن الجزرى وابن عبد البر، فلا متمسك هنا لأحد بقول ابن مسعود؛ لأن الواقع يشهد بعكس ما حملوا عليه معنى هذا القول.

إذاً فما هى تلكم الأحرف السبعة ؟

---

[63] راجع حاشية مسند أحمد ط الرسالة (147/34) قال الأرنؤوط : أخرجه الطبري في مقدمة "تفسيره" 1/22، والطبراني في "الكبير" (8680) ، وإسناده صحيح.
[64] مناهل العرفان (175/1)

تحديد الأحرف السبعة :-

كما قلنا سابقاً أن المقارنة بين مالم يُكتب فى المصحف العثمانى بعضه ببعض ومع ما كُتب فى المصحف هو السبيل لتحديد تلك الأحرف السبعة، ونكرر من خالفنا فى ذلك من الملاحدة وأذنابهم فعليه بالمناقشة المشار إليها أنفاً، وقد كان ذلك ما قام به الإمام أبو الفضل الرازى .

قال ابن حجر: " قال أبو الفضل الرازي: "الكلام لا يخرج عن سبعة أوجه في الاختلاف، الأول:(اختلاف الأسماء من إفراد وتثنية وجمع أو تذكير وتأنيث) الثاني : (اختلاف تصريف الأفعال من ماض ومضارع وأمر) الثالث : (وجوه الإعراب) الرابع : (النقص والزيادة) الخامس : (التقديم والتأخير) السادس : (الإبدال) السابع : (اختلاف اللغات كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والإدغام والإظهار)" ونحو ذلك قلت"[65]

وقد مثل لذلك الزرقانى فى مناهل العرفان، فقال : "ويمكن التمثيل للوجه الأول منه وهو اختلاف الأسماء بقوله سبحانه: {وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ}قرئ هكذا {لِأَمَانَاتِهِمْ}جمعاً , وقرىء{ لِأمَانَتِهِم}بالإفراد.ويمكن التمثيل للوجه الثاني وهو اختلاف تصريف الأفعال بقوله سبحانه: {فَقَالُوا رَبَّنَا بَاعِدْ بَيْنَ أَسْفَارِنَا}قرئ هكذا بنصب لفظ{رَبَّنَا}على أنه منادى وبلفظ {بَاعِدْ}فعل أمر وبعبارة أنسب بالمقام فعل دعاء وقرئ هكذا {رَبَّنَا بَاعِدْ}برفع رب على أنه مبتدأ وبلفظ بعد فعلا ماضيا مضعف العين جملته خبر.ويمكن التمثيل للوجه الثالث وهو اختلاف وجوه الإعراب بقوله سبحانه: {وَلا يُضَارَّ كَاتِبٌ وَلا شَهِيدٌ}قرئ بفتح الراء وضمها فالفتح على أن لا ناهية فالفعل مجزوم بعدها والفتحة الملحوظة في الراء هي فتحة إدغام المثلين. أما الضم فعلى أن لا نافية فالفعل

---

[65] فتح البارى لابن حجر (29/9)

مرفوع بعدها.ومثل هذا المثال قوله سبحانه: {ذُو الْعَرْشِ الْمَجِيدُ}قرئ برفع لفظ المجيد وجره. فالرفع على أنه نعت لكلمة ذو والجر على أنه نعت لكلمة العرش .فلا فرق في هذا الوجه بين أن يكون اختلاف وجوه الإعراب في اسم أو فعل كما رأيت.ويمكن التمثيل للوجه الرابع وهو الاختلاف بالنقص والزيادة بقوله سبحانه: {وَمَا خَلَقَ الذَّكَر وَالْأُنْثَى}قرئبهذا اللفظ، وقرئ أيضا والذكر والأنثى بنقص كلمة ما خلق .ويمكن التمثيل للوجه الخامس وهو الاختلاف بالتقديم والتأخير بقوله سبحانه: {وَجَاءَتْ سَكْرَةُ الْمَوْتِ بِالْحَقِّ}وقرئ: وجاءت سكرة الحق بالموت.ويمكن التمثيل للوجه السادس وهو الاختلاف بالإبدال بقوله سبحانه: {وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنْشِزُهَا}بالزاي وقرئ {نُنْشِرُهَا}بالراء وكذلك قوله سبحانه: {وَطَلْحٍ مَنْضُودٍ}بالحاء وقرئ وطلع بالعين.فلا فرق في هذا الوجه أيضا بين الاسم والفعل.ويمكن التمثيل للوجه السابع وهو اختلاف اللهجات بقوله سبحانه: {وَهَلْ أَتَاكَ حَدِيثُ مُوسَى}تقرأ بالفتح والإمالة في أتى ولفظ موسى فلا فرق في هذا الوجه أيضا بين الاسم والفعل والحرف مثلهما نحو{بلى قدرين}قرئ بالفتح والإمالة في لفظ بلى."[66]

هذه هى الأحرف السبعة التى أنزل عليها القرآن، سبعة أنواع من الإختلافات تتغير عليها طريقة القراءة، فهى الأوجه التى تتغير بها القراءات كما قال أبو عمرو الدانى فى معناها: وهو أحد المعنيين[67]: "سمي النبي صلى الله عليه وسلم هذه الأوجه المختلفة من القراءات والمتغايرة من اللغات أحرفا على معنى أن كل شيء منها وجه على حدته غير الوجه الآخر

[66]مناهل العرفان (157-155/1)

[67]قلت وهو أحد المعنيين ذلك أن المعنى الثانى الذى ذكره أبو عمرو هو أنها هى القراءات نفسها، وقد سماها النبى –صلى الله عليه وسلم- بذلك على سبيل التوسعة كعادة العرب فى إطلاق لفظ القافية على القصيدة وإطلاق لفظ الكلمة على الخطبة أو الرسالة أو القصة بأكملها، على أن المعنى الثانى هذا غير مُختار كون القراءات القرآنية ليست سبعة فحسب، وإنما قال بذلك أبو عمرو كونه جمع فى القراءات القرآنية سبع قراءات فقط.

كنحو قوله: {ومن الناس من يعبد الله على حرف} أي على وجه إن تغير عليه تغير عن عبادته وطاعته على ما بيناه"[68]

ومن هنا يجب التفريق بين معنى الأحرف السبعة وتحديد الأحرف السبعة، فإن قلت: الأحرف السبعة مامعناها ؟ كان الجواب: هى الأوجه التى تختلف عن طريقها القراءات، وإن قلت: حددوا لنا الأحرف السبعة، كان الجواب ما أجاب به أبو الفضل الرازى ومثل له الزرقانى .

فوائد لابد من معرفتها :-

الأولى:

فى سبب نزول القرآن على سبعة أحرف، وذلك للتخفيف على الأمة كما جاء فى الحديث عن أُبى بن كعب قال: " أن النبي صلى الله عليه وسلم كان عند أضاة بني غفار قال فأتاه جبريل عليه السلام فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرف فقال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم أتاه الثانية فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على حرفين فقال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم جاءه الثالثة فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على ثلاثة أحرف فقال أسأل الله معافاته ومغفرته وإن أمتي لا تطيق ذلك ثم جاءه الرابعة فقال إن الله يأمرك أن تقرأ أمتك القرآن على سبعة أحرف فأيما حرف قرءوا عليه فقد أصابوا"[69]

---

[68] الأحرف السبعة (ص:27)

[69] صحيح مسلم (1357)

قال ابن الجزرى : "وكما ثبت صحيحًا:إن القرآن نزل من سبعة أبواب على سبعة أحرف، وإن الكتاب قبله كان ينزل من باب واحد على حرف واحد، وذلك أن الأنبياء –عليهم السلام– كانوا يبعثون إلى قومهم الخاصين بهم، والنبي –صلى الله عليه وسلم– بعث إلى جميع الخلق أحمرها وأسودها عربيها وعجميها، وكانت العرب الذين نزل القرآن بلغتهم لغاتهم مختلفة وألسنتهم شتى ويعسر على أحدهم الانتقال من لغته إلى غيرها، أو من حرف إلى آخر، بل قد يكون بعضهم لا يقدر على ذلك ولا بالتعليم والعلاج، لا سيما الشيخ والمرأة، ومن لم يقرأ كتابا كما أشار إليه صلى الله عليه وسلم.فلو كلفوا العدول عن لغتهم والانتقال عن ألسنتهم لكان من التكليف بما لا يستطاع، وما عسى أن يتكلف المتكلف وتأبى الطباع"[70]

الثانية:

تبيان عظمة هذا الكتاب وإعجازه، وكونه من عند الله ولا شك، فعلى الرغم من كونه على هذه الأوجه الكثيرة إلا أنه محفوظ من التبديل والتغيير، وعلى الرغم من كونه يُقرأ على سبعة أحرف تتغير فيها القراءة إلا أن ذلك لا يؤدى إلى تضاد فى المعنى أو تناقض، إنما هو اختلاف تنوع لا اختلاف تضاد، وما في ذلك من عظيم البرهان وواضح الدلالة إذ هو مع كثرة هذا الاختلاف وتنوعه لم يتطرق إليه تضاد ولا تناقض ولاتخالف بل كله يصدق بعضه بعضا، ويبين بعضه بعضاً، ويشهد بعضه لبعض على نمط واحد وأسلوب واحد، وما ذلك إلا آية بالغة، وبرهان قاطع على صدق من جاء به صلى الله عليه وسلم.

[70] النشر فى القراءات العشر (22/1)

وإختلاف التنوع هذا على ثلاثة أنواع يشملها جميعاً:اختلاف اللفظ والمعنى واحد، اختلاف اللفظ والمعنى جميعاً مع جواز أن يجتمعا في شيء واحد، اختلاف اللفظ والمعنى مع امتناع جواز أن يجتمعا في شيء واحد.

قال أبو عمرو الداني: " فأما اختلاف اللفظ والمعنى واحد فنحو قوله : (السراط) بالسين و{الصراط} بالصاد و(الزراط) بالزاي، وأما اختلاف اللفظ والمعنى جميعاً مع جواز اجتماع القراءتين في شيء واحد من أجل عدم تضاد اجتماعهما فيه فنحو قوله تعالى:{مالك يوم الدين} بألف و(ملك) بغير ألف لأن المراد بهاتين القراءتين جميعا هو الله سبحانه وتعالى وذلك أنه تعالى مالك يوم الدين وملكه فقد اجتمع له الوصفان جميعا فأخبر تعالى بذلك في القراءتين، وكذا قوله تعالى:(كيف ننشرها) بالراء وبالزاي لأن المراد بهاتين القراءتين جميعا هي العظام وذلك أن الله تعالى أنشرها أي أحياها وأنشزها أي رفع بعضها إلى بعض حتى التأمت فأخبر سبحانه أنه جمع لها هذين الأمرين من إحيائها بعد الممات ورفع بعضها إلى بعض لتلتئم فضمن تعالى المعنيين في القراءتين بنبيها على عظيم قدرته، وأما اختلاف اللفظ والمعنى جميعاً مع إمتناع جواز اجتماعهما في شيء واحد لاستحالة اجتماعهما فيه فكقراءة من قرأ (وظنوا أنهم قد كذبوا) بالتشديد لأن المعنى وتيقن الرسل أن قومهم قد كذبوهم وقراءة من قرأ (قد كذبوا) بالتخفيف لأن المعنى وتوهم المرسل إليهم أن الرسل قد كذبوهم فيما أخبروهم به من أنهم إن لم يؤمنوا بهم نزل العذاب بهم فالظن في القراءة الأولى يقين والضمير الأول للرسل والثاني للمرسل إليهم، والظن في القراءة الثانية شك والضمير الأول للمرسل إليهم والثاني للرسل"[71]

[71] الأحرف السبعة (47/1)

الأقوال الآخرى التى ينبغى ردها:-

القول الأول: وهو الإدعاء بأن الأحرف السبعة إنما هى لغات سبعة[72] وقد تم الرد علي هذا بإختلاف قراءة كل من هشام بن حكيم وعمر بن الخطاب رغم كون كلاهما قرشى له نفس اللغة، بالإضافة إلى كون القرآن الكريم يحتوى على نحو خمسين لغة عربية كما قال الواسطى ونقله عنه السيوطى فى الإتقان[73].

قال ابن عبد البر: "وأنكر أكثر أهل العلم أن يكون معنى حديث النبي– صلى الله عليه و سلم – :"أُنزِل القرآن على سبعة أحرف" سبع لغات، وقالوا: هذا لا معنى له؛ لأنه لو كان كذلك لم ينكر القوم بعضهم على بعض في أول الأمر؛ لأنه من كانت لغته شيئاً قد جبل وطبع عليه وفطر به لم ينكر عليه ،وأيضًا فإن هشام بن حكيم وعمر بن الخطاب كلاهما قرشي مكي، وقد إختلفت قراءتهما، ومحال أن ينكر عليه عمر لغته، كما محال أن يُقرىء رسول الله – صلى الله عليه وسلم–واحدًا منهما بغير ما يعرفه من لغته والأحاديث الصحاح المرفوعة كلها تدل على نحو ما يدل عليه حديث عمر هذا."[74]

القول الثانى : وهو الإدعاء بأن الأحرف السبعة هى القراءات السبعة، وهذا ما يسميه العلماء بالجهل القبيح، ذاك أن القراءات الصحيحة ليست قراءات هؤلاء السبعة القراء المشهورون فحسب .

قال ابن الجزرى:"بلغنا عن بعض من لا علم له أن القراءات الصحيحة هي التي عن هؤلاء السبعة، أو أن الأحرف السبعة التي أشار إليها النبي –صلى الله عليه وسلم– هي قراءة

---

[72] ويُقصد بذلك لغات قبائل العرب ولهجاتها

[73] الإتقان فى علوم القرآن (390/1)

[74] التمهيد 4/ 63

هؤلاء السبعة، بل غلب على كثير من الجهال أن القراءات الصحيحة هي التي في الشاطبية والتيسير وأنها هي المشار إليها بقوله : -صلى الله عليه وسلم-: "أنزل القرآن على سبعة أحرف"، حتى أن بعضهم يطلق على ما لم يكن في هذين الكتابين أنه شاذ، وكثير منهم يطلق على ما لم يكن عن هؤلاء السبعة شاذا، وربما كان كثير مما لم يكن في الشاطبية والتيسير وعن غير هؤلاء السبعة أصح من كثير مما فيهما، وإنما أوقع هؤلاء في الشبهة كونهم سمعوا: "أنزل القرآن على سبعة أحرف"، وسمعوا قراءات السبعة فظنوا أن هذه السبعة هي تلك المشار إليها؛ ولذلك كره كثير من الأئمة المتقدمين اقتصار ابن مجاهد على سبعة من القراء وخطئوه في ذلك، وقالوا: "ألا اقتصر على دون هذا العدد أو زاده أو بين مراده ؟ ليخلص من لا يعلم من هذه الشبهة"[75]

[75] النشر فى القراءات العشر (36/1) وسيتضح معنى هذا أكثر عند الكلام على القراءات بإذن الله

شبهة حول الأحرف السبعة :-

لابد أن يُعلم أن الأحرف السبعة هي وحي من الله لا دخل للإختيار البشرى فيها، ويلزم فيها السماع من الرسول –صلى الله عليه و سلم– يدل على ذلك قوله –صلى الله عليه و سلم– لكلا الصحابيين عن قراءته: "هكذا أنزلت"

ثم قوله –صلى الله عليه وسلم-: "إنالقرآن أنزل على سبعة أحرف"

وليس أن يُغير كل أحد ألفاظ القرآن بالتشهي [76] كما وقع في روايات آخرى ضعيفة، وتلك هي الفرية التي يرمينا بها الزائغون، فتوهموا أن يمكن لأى أحد أن يقرأ القرآن بالمعنى كما شاء، وتعلقوا في ذلك بروايات.

من تلك الروايات ما جاء عن الأعمش قال: " قرأ أنس بن مالك إن ناشئة الليل هي أشد وطئا وأصوب قيلا فقيل له: وأقوم قيلا فقال: أقوم وأصوب واهيا: سواء"

وهذه الرواية ضعيفة؛ فالأعمش لم يسمع من أنس –رضى الله عنه– فهذا مرسل؛ قال ابن معين :"كل ما روى الأعمش عن أنس فهو مرسل"[77]

وقال أبو بكر الأنبارى: "والحديث الذي جعلوه قاعدتهم في هذه الضلالة حديث لا يصح عن أحد من أهل العلم، لأنه مبني على رواية الأعمش عن أنس، فهو مقطوع ليس بمتصل فيؤخذ به من قبل أن الأعمش رأى أنسا ولم يسمع منه"[78]

---

[76] و بنحوه قال ابن حجر فى الفتح (27/9)

[77] جامع التحصيل فى أحكام المراسيل (188/1) (258)

[78] الجامع لأحكام القرآن (41/19-42)

ومنها ما روي "أن عمر رضي الله عنه سمع رجلاً يقرأ من سورة يوسف {عَتَا حِينٍ}، فقال له عمر رضي الله عنه: من أقرأك هكذا ؟ قال: ابن مسعود، فكتب إلى ابن مسعود: سلام عليك أما بعد، فإن الله أنزل هذا القرآن بلسان قريش، وجعله بلسان عربي مبين، أقرئ الناس بلغة قريش، لا تقرئهم بلغة هذيل والسلام" وهى رواية ضعيفة كذلك .

قال عبد السلام بن محسن آل عيسى: " رواه ابن شبة / تاريخ المدينة 276/2، قال: حدّثنا محمّد بن الصباح البراز قال: حدّثنا هشيم عن عبد الرحمن بن عبد الملك يعني: بن كعب بن عجرة عن أبيه عن جدّه. وما ورد في الإسناد في اسم شيخ هشيم عبد الرحمن بن عبد الملك خطأ والصّواب: عبد الرحمن بن عبد الله.

الخطيب / تاريخ بغداد 406/3،405، ومداره على هشيم بن بشير ثقة من السابعة، مدلس من الثالثة ولم يصرح بالسماع، وفيه انقطاع بين هشيم وعبد الرحمن بن عبد الله بن عبد الرحمن بن كعب ثقة من الثالثة تق: 344. فالأثر ضعيف"[79]

وكذا ما أخرج أبو عبيد في فضائله وابن الأنباري وابن المنذر عن عون بن عبدالله : "أن ابن مسعود أقرأ رجلاً {إن شجرة الزقوم طعام الأثيم} فقال الرجل: طعام اليتيم فرددها عليه فلم يستقم بها لسانه، فقال: أتستطيع أن تقول: طعام الفاجر؟ قال: نعم. قال: فافعل"[80]

وهذه الرواية ضعيفة لإنقطاع السند؛ فرواية عون وهو ابن عبد الله بن عتبة عن عبد الله بن مسعود مرسلة[81] ومع ضعفها فهى أصلاً لا مشكلة فيها كما سيأتى فى رواية آخرى عن أبى الدرداء –رضى الله عنه– فألفاظ تلك الرواية تختلف عن ألفاظ سابقيها كما سيأتى .

---

[79] دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية رضي الله عنه (808/2)

[80] الدر المنثور (418/7) دار الفكر – بيروت

وما جاء فى الآثار لأبى يوسف "يوسف عن أبيه عن أبي حنيفة، عن حماد، عن إبراهيم، عن ابن مسعود رضي الله عنه أن رجلا كان يقرئه ابن مسعود، وكان أعجميا، فجعل يقول: " إن شجرة الزقوم، طعام الأثيم" فجعل الرجل يقول: طعام اليتيم، فرد عليه، كل ذلك يقول: طعام اليتيم فقال ابن مسعود: قل: "طعام الفاجر"، ثم قال ابن مسعود: "إن الخطأ في القرآن ليس أن تقول: الغفور الرحيم، العزيز الحكيم، إنما الخطأ أن تقرأ آية الرحمة آية العذاب، وآية العذاب آية الرحمة ، وأن يزاد في كتاب الله ما ليس فيه"

فهذا صريح فى إمكانية إبدال لفظة بلفظة حسب التشهى؛ لقوله: " إن الخطأ في القرآن ليس أن تقول: الغفور الرحيم، العزيز الحكيم، إنما الخطأ أن تقرأ آية الرحمة آية العذاب، وآية العذاب آية الرحمة، وأن يزاد في كتاب الله ما ليس فيه"

فهذه هى مشكلة تلك الرواية وليست المشكلة فى قراءة الفاجر مكان الأثيم كما سيأتى .

لكن هذه الرواية ضعيفة علتها الإنقطاع فى السند بين إبراهيم وهو ابن محمد بن الحارث، أبو إسحاق الفزاري الكوفى[82] وعبد الله بن مسعود رضى الله عنه .

وأما ما صححه الحاكم فى مستدركه قال: "حدثنا أبو عبد الله محمد بن يعقوب الشيباني حدثنا محمد بن عبد الوهاب حدثنا يعلى بن عبيد حدثنا الأعمش عن إبراهيم عن همام بن الحارث عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال قرأ رجل عنده إن شجرة الزقوم طعام الأثيم فقال أبو الدرداء قل طعام الأثيم فقال الرجل طعام اليثيم فقال أبو الدرداء قل طعام الفاجر"[83]

---

[81] جامع التحصيل فى أحكام المراسيل (249/1) (598)
[82] تهذيب الكمال (167/2)
[83] مستدرك الحاكم (489/2) (3684) قال: هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه

فلا إشكال فيه؛ فليس هذا من قبيل تغيير ألفاظ القرآن بالتشهى، وليس فى الرواية ما يدل أن أبا الدرداء إنما فعل ذلك بالتشهى، فغاية ما تدل عليه أن هناك قراءة آخرى فى الآية هى "طعام الفاجر"؛ فما كان لينبغي للنبى –صلى الله عليه وسلم– أن يُغير فى القرآن بالتشهى –وسيأتيك بيان ذلك– فكيف بالصحابة ؟!

وإليك كلام الزرقانى بتمامه فى تلك المسألة: "والجواب: أن اختلاف القراءات لا يوقع في شك ولا ريب ما دام الكل نازلا من عند الله. وأما هذه الروايات التي اعتمدت عليها الشبهة فلا نسلم أنه يفهم منها معنى تخيير الشخص أن يأتي من تلقاء نفسه باللفظ وما يرادفه أو باللفظ وما لا يضاده في المعنى حتى يوقع ذلك في ريب من هذا التنزيل. بل قصارى ما تدل عليه هذه الروايات أن الله تعالى وسع على عباده خصوصا في مبدأ عهدهم بالوحي أن يقرؤوا القرآن بما تلين به ألسنتهم. وكان من جملة هذه التوسعة القراءة بمترادفات من اللفظ الواحد للمعنى الواحد مع ملاحظة أن الجميع نازل من عند الله نزل به الروح الأمين على قلب محمد صلى الله عليه وسلم، وقرأه الرسول على الناس على مكث وسمعوه منه ثم نسخ الله ما شاء أن ينسخ بعد ذلك وأبقى ما أبقى لحكمة سامية تستقبلك في مبحث النسخ.

يدل على أن الجميع نازل من عند الله تعالى قوله صلى الله عليه وسلم لكل من المتنازعين المختلفين في القراءة من أصحابه: "هكذا أنزلت" وقول كل من المختلفين لصاحبه:
أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم وقول الله تعالى لرسوله جوابا لمن سأله تبديل القرآن: {قُلْ مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابَ يَوْمٍ عَظِيمٍ} وليس بعد كلام الله ورسوله كلام. كذلك أجمعت الأمة على أنه لا مدخل لبشر في نظم هذا القرآن لا من ناحية أسلوبه ولا من ناحية ألفاظه بل ولا من ناحية قانون أدائه فمن يخرج على هذا الإجماع ويتبع غير سبيل المؤمنين يوله الله ما تولى

ويصله جهنم وساءت مصيرا، وها نحن أولاء قد رأينا القرآن في تلك الآية يمنع الرسول من محاولة ذلك منعا باتا مشفوعا بالوعيد الشديد ومصحوبا بالعقاب الأليم. فما يكون لابن مسعود ولا لأكبر من ابن مسعود بعد هذا أن يبدل لفظا من ألفاظ القرآن بلفظ من تلقاء نفسه. انظر ما قررناه في الشاهدين: الرابع والسابع من هذا المبحث.

أما هذه الرواية المنسوبة إلى ابن مسعود من أنه أقرأ الرجل بكلمة الفاجر بدلا من كلمة الأثيم في قول الله تعالى: {إِنَّ شَجَرَتَ الزَّقُّومِ طَعَامُ الْأَثِيمِ} فتدل على أن ابن مسعود سمع الروايتين عن رسول الله صلى الله عليه وسلم. ولما رأى الرجل قد تعسر عليه النطق بالأولى أشار عليه أن يقرأ بالثانية وكلاهما منزل من عند الله"[84]

وكذا قد تعلق بعضهم بقوله –صلى الله عليه وسلم-: " ليس منها إلا شاف كاف إن قلت سميعا عليما عزيزا حكيما ما لم تختم آية عذاب برحمة أو آية رحمة بعذاب"[85]

وكأنه –صلى الله عليه وسلم- أجاز لكل أحد أن يُغير فى القرآن بما يشتهى، وقد أُجيب عن هذا، قال أبو عمرو: "إنما أراد بهذا ضرب المثل للحروف التي نزل القرآن عليها أنها معان متفق مفهومها مختلف مسموعها لا يكون في شيء منها معنى وضده ولا وجه يخالف معنى وجه خلافا ينفيه ويضاده كالرحمة التي هي خلاف العذاب وضده."[86]

ويدل على ذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم قال للبراء بن عازب: " ألا أعلمك كلمات تقولها إذا أويت إلى فراشك فإن مت من ليلتك مت على الفطرة وإن أصبحت أصبحت وقد أصبت خيرا تقول اللهم أسلمت نفسي إليك ووجهت وجهي إليك وفوضت أمري إليك

---

[84] مناهل العرفان (188/1)

[85] سنن أبي داود – دار الكتاب العربي (1479) قال الألباني : صحيح

[86] البرهان فى علوم القرآن (221/1)

رغبة ورهبة إليك وألجأت ظهري إليك لا ملجأ ولا منجى منك إلا إليك آمنت بكتابك الذي أنزلت ونبيك الذي أرسلت قال البراء فقلت وبرسولك الذي أرسلت قال فطعن بيده في صدري ثم قال ونبيك الذي أرسلت"[87]

قال الزرقاني: "وهكذا نهاه عليه الصلاة والسلام أن يضع لفظة رسول موضع لفظة نبي مع أن كليهما حق لا يحيل معنى إذ هو صلى الله عليه وسلم رسول ونبي معا فكيف يسوغ أن يُقال:إنه عليه الصلاة والسلام كان يجيز أن يوضع في القرآن الكريم مكان عزيز حكيم غفور رحيم أو سميع عليم. وهو يمنع من ذلك في دعاء ليس قرآنا والله يقول مخبرا عن نبيه:{مَا يَكُونُ لِي أَنْ أُبَدِّلَهُ مِنْ تِلْقَاءِ نَفْسِي}ولا تبديل أكثر من وضع كلمة مكان أخرى"[88]

وقال أبو بكر الأنبارى فى الرد على هذه الفرية: " وقد ترامى ببعض هؤلاء الزائغين إلى أن قال: من قرأ بحرف يوافق معنى حرف من القرآن فهو. مصيب، إذا لم يخالف معنى ولم يأت بغير ما أراد الله وقصد له، واحتجوا بقول أنس هذا. وهو قول لا يعرج عليه ولا يلتفت إلى قائله؛ لأنه لو قرأ بألفاظ تخالف ألفاظ القرآن إذا قاربت معانيها واشتملت على عامتها، لجاز أن يقرأ في موضع {الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} الشكر للباري ملك المخلوقين، ويتسع الأمر في هذا حتى يبطل لفظ جميع القرآن، ويكون التالي له مفتريا على الله عز وجل، كاذبا على رسوله صلى الله عليه وسلم، ولا حجة لهم في قول ابن مسعود: نزل القرآن على سبعة أحرف، إنما هو كقول أحدكم: هلم وتعال وأقبل؛ لأن هذا الحديث يوجب أن القراءات المأثورة المنقولة بالأسانيد الصحاح عن النبي صلى الله عليه وسلم إذا اختلفت ألفاظها، واتفقت معانيها، كان ذلك فيها بمنزلة الخلاف في هلم، وتعال، وأقبل، فأما ما لم

---

[87] صحيح الترمذى (3394) قال الألبانى صحيح، صحيح البخارى 247

[88] مناهل العرفان (189/1)

يقرأ به النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه وتابعوهم رضي الله عنهم، فإنه من أورد حرفا منه في القرآن بهت ومال وخرج من مذهب الصواب"[89]

إذاً فلا صحة لتلك الفرية التى زعموها ولم يقل بها أحد من علماءنا عليهم رحمة الله .

[89] الجامع لأحكام القرآن (19/41-42)

الفصل الثالث :

القراءات

ننتقل إلى الكلام على القراءات بعد أن تكلمنا عن الأحرف السبعة فيما مضى، ولسنا بهذا نفصل الأحرف السبعة عن القراءات، فالقراءات هى ناتج الأحرف السبعة، قال محمد سالم تحت عنوان الأدلة على نزول القراءات:" قال ابن الجزري:وأصل الاختلاف أن ربّنا أنزله بسبعة مهوّنا وقيل في المراد منها أوجه وكونه اختلاف لفظ أوجه"[90]

فكما ترى من كلام ابن الجزرى فى حقيقة نزول القراءات أن أصل إختلاف القراءت هو نزول القرآن على سبعة أحرف، فالقراءت هى ناتج هذه الأحرف السبعة كما ذُكِرَ سابقاً.

القراءات والأحرف السبعة :-

كما مرّ بنا من كلام ابن الجزرى –رحمه الله– أن القراءات هى ناتج الأحرف السبعة، وبيان ذلك ما يأتى من بعض الأمثلة لتوضيح هذا الأمر؛ فبالمثال يتضح المقال.

المثال الأول: فى فاتحة الكتاب قوله تعالى :{ مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ } كلمة {مالك} تُقرأ على قراءتين، قال ابن الجزرى:"(مالك وملك) في الفاتحة لأن المراد في القراءتين هو الله تعالى لأنه مالك يوم الدين وملكه"[91]

فهاتان قراءتان أتيتا عن حرف واحد من الأحرف السبعة وهو الإبدال –إبدال كلمة بكلمة– كما مرّ بك فى تعين الأحرف السبعة، فتجد أن عن حرف واحد من الأحرف السبعة نتجت قراءتين.

[90] الهادى شرح طيبة النشر فى القراءات العشر (20/1)
[91] النشر فى القراءات العشر (66/1)

المثال الثاني: في سورة البقرة، قوله تعالى:{ ولا يقبل منها شفاعة }تُقرأ على قراءتين، قال ابن الجزرى:"فقرأ ابن كثير والبصريان (تقبل) بالتأنيث، وقرأ الباقون بالتذكير"[92]

فهاتان قراءتان أتيتا عن حرف واحد من الأحرف السبعة وهو إختلاف الاسماء –وقد وقع هنا الإختلاف بالتذكير والتأنيث– كما مرّ بك فى تعين الأحرف السبعة، فتجد أن عن حرف واحد من الأحرف السبعة نتجت قراءتين كالمثال الأول.

كذلك فى سورة الأنعام فى قوله تعالى:{ وَيَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا ثُمَّ نَقُولُ لِلَّذِينَ أَشْرَكُوا أَيْنَ شُرَكَاؤُكُمُ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ}، تُقرأ الأفعال (نحشرهم، نقول) على قراءتين:إحداهما ما مرّ بك الآن، والآخرى على الغائب فتُقرأ (يحشرهم، يقول)

قال ابن الجزرى:" (واختلفوا) في (يحشرهم ثم نقول) هنا وسبأ فقرأ يعقوب بالياء في (يحشرهم ويقول) جميعاً في السورتين، وافقه حفص في سبأ وقرأ الباقون بالنون فيهما من السورتين"[93]

المثال الثالث: فى آية سورة يوسف فى قوله تعالى:{ وَرَاوَدَتْهُ الَّتِي هُوَ فِي بَيْتِهَا عَنْ نَفْسِهِ وَغَلَّقَتِ الْأَبْوَابَ وَقَالَتْ هَيْتَ لَكَ قَالَ مَعَاذَ اللَّهِ إِنَّهُ رَبِّي أَحْسَنَ مَثْوَايَ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ} قوله تعالى:{هَيْتَ} يُقرأ على سبع قراءات هى: هِيتَ، هِيتُ، هَيتَ،هَيتُ، هَيتِ، هِئتَ،هِئتُ.

قال ابن الجزرى:" قرأ المدنيان وابن ذكوان بكسر الهاء وفتح التاء ومن غير همز، وروى الدجواني عن أصحابه عن هشام بكسر الهاء مع الهمز وضم التاء، وقرأ ابن كثير بفتح الهاء

[92] النشر فى القراءات العشر (241/2)

[93] النشر فى القراءات العشر (290/2)

وضم التاء من غير همز وقرأ الباقون بفتح الهاء والتاء من غير همز فيها كسر الهاء وضم التاء من غير همز قراءة ابن محيصن وزيد ابن بحرية وغيرهم وفتح الهاء وكسر التاء من غير همز قراءة الحسن ورويناها عن ابن محيصن وابن عباس وغيرهم"[94]

فهذه كما يبدو لك قراءات سبعة فى كلمة واحدة لكنها ليست أحرف سبعة للكلمة، وإنما تعود هذه القراءات السبعة إلى حرف واحد من الأحرف السبعة وهو إختلاف اللغات كما مرّ بك فى تعين الأحرف السبعة، قال ابن الجزرى:"والصواب أن هذه السبع القراآت كلها في لغات في هذه الكلمة"[95]

ومن هنا ينبغى أن يُعلم الفرق بين الأحرف السبعة والقراءات، وهناك نقطة آخرى يجب الإلتفات إليها والتنبيه عليها وفهمها جيداً، وهى التفريق بين أن نقول قراءة فلان، مثل أن نقول قراءة عاصم أو قراءة حمزة وهكذا، وأن نقول قراءة كلمة مُعينة مثل قراءة (هيت) كما مرّ.

فقد يتفق عاصم وحمزة فى قراءة كلمة واحدة رغم أن هذه الكلمة لها قراءات متعددة، ولا يُقال وقتئذٍ إن قراءة عاصم هى نفسها قراءة حمزة بإطلاق، وإنما وافقتها فى هذه الكلمة وفقط، وهذا ما سنفرده بالشرح عند الكلام على مصطلح نشأة القراءات.

وقبل الكلام على مصطلح نشأة القراءات، وَجبَ التنبيه إلى أنه قد يُطلق لفظ (حرف) ويُراد به (القراءة) أى بدلاً من أن نقول قراءة فلان نقول حرف فلان، وهذا إشتهر عن العلماء قديماً وسيمر بك قريباً فتنبه له.

---

[94] النشر فى القراءات العشر (2/ 231 – 232)وإكتفيت بنقل القراءات فى (هيت) من الموضع المذكور

[95] المصدر السابق

مصطلح نشأة القراءات :-

يشنع الكثير من المستشرقين على موضوع القراءات هذا، وتعجب أشد العجب عندما تسمع كلامهم وأقوالهم في القراءت، فيقولون أن سبب نشأة القراءات وظهورها هو خلو المصاحف العثمانية من النقط والشكل، الأمر الذى أدى إلى إختلاف القراءة من شخص لشخص حسب ما يرى من الكلمة التى أمامه والتى هى ليست منقوطة ولا مشكولة ومن هنا ظهرت القراءات، والعجيب فى الأمر أن خلو المصاحف من النقط والشكل كان سببه القراءات نفسها وليس العكس؛ أى أن خلو المصاحف من النقط والشكل كان سببه القراءات، ولم يكن سبب القراءات خلو المصاحف من النقط والشكل.

قال ابن الجزرى: " ثم إن الصحابة رضي الله عنهم لما كتبوا تلك المصاحف جردوها من النقط والشكل ليحتمله ما لم يكن في العرضة الأخيرة مما صح عن النبي صلى الله عليه وسلم وإنما أخلوا المصاحف من النقط والشكل لتكون دلالة الخط الواحد على كلا اللفظين المنقولين المسموعين المتلوَّين شبيهة بدلالة اللفظ الواحد على كلا المعنيين المعقولين المفهومين فإن الصحابة رضوان الله عليهم تلقوا عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أمره الله تعالى بتبليغه إليهم من القرآن لفظه ومعناه جميعاً ولم يكونوا ليسقطوا شيئاً من القرآن الثابت عنه صلى الله عليه وسلم ولا يمنعوا من القراءة به"[96]

ونعود الآن إلى مصطلح نشأة القراءات، إن صح هذا العنوان أن نقول بهعلى ما فيه من نظرمن بعد ما تبين لك أن أصل القراءات إنما يرجع إلى الأحرف السبعة.

[96] النشر فى القراءات العشر (45/1)

قال محمد على الحسن:" هذا العنوان الذي يستعمله كثير من المؤلفين عن حسن قصد، ويؤكده المستشرقون لغرض في نفوسهم، فيه نظر:ذلك أن القراءات المتواترة قرآن لا شك فيه، فقوله:مالِكِ يَوْمِ الدِّينِ وملك يوم الدّين بالألف وبدونها، واهْدِنَا الصِّراطَ الْمُسْتَقِيمَ واهدنا السراط المستقيم، بسينها وصادها، وكل قراءة قرآنية متواترة، كل ذلك قرآن وهو قديم، فلا يقال لقراءة منه: نشأت، لأن ذلك يشعر بالحداثة لبعضها في وقت من الأوقات.لذا أرى أنّ في استعمال المؤلفين المخلصين هذا العنوان تجاوزا– إن صحّ التعبير– وأرى أنّ في استعمال المستشرقين له مقصداً خبيثا"[97]

فليس هناك بد من استخدام هذا اللفظ الآن، مع التأكيد أنه لفظ فيه نظر، فالقراءات القرآنية لم تنشأ كشيءمستحدث كأنما كانت بعيدة عن الوحى أو من إختراع المسلمين دونما سماع مباشر من فم النبى –صلى الله عليهوسلم– وحياً من الله، وإنما نقصد بهذا العنوان توضيح أن لما كانت الأحرف –وهى وجوه القراءات– سبعةفلا يشترط من ذلك أن تكون القراءات سبعة، بل يقع فى ذلك الوهم من قل نظره فى معنى الأحرف وكيفية خروج القراءات عنها كما ضربنا لذلك الأمثلة سابقاً، فلترجع إليها، ونقصد كذلك بهذا العنوان توضيح معنى أن نقول قراءة فلان أو غيره كأن نقول قراءة ابن عامر أو قراءة ابن كثير وهكذا، لِمَ خُصت القراءة على هذه الكيفية التى يؤديها من يقرأ بقراءة ابن عامر باسم قراءة ابن عامر، وكذا الحال مع قراءة ابن كثير ونافع وغيرهم، إذ يتوهم الزائغون أن هذه القراءات من عند أصحابها المسماة باسماءهم من دون أن تكون وحى، بل ويطعن البعض فى تواتر القرآن لأجل هذا ظناً منهم أن لم يقرأ أحد بقراءة عاصم مثلاً سواه فهو خبر الواحد فلا يثبت به تواتر، فكان لابد من استخدام هذا العنوان على غصةٍ فى الحلق منه لنبين كيف كان أمر القراءات وأخذ التابعين وأتباع التابعين.

---

[97] المنار فى علوم القرآن (118/1)

ولابد أن نُمَهِد لذلك أولاً ببيان أن الأحرف السبعة التى نزل عليها القرآن لم يعتنى الصحابة –رضوان الله عليهم– بالأخذ بحرف واحد أو إثنين منها وفقط، فمنهم من أخذ حرف ومنهم من أخذ حرفان ومنهم من ضبط القراءات كلها.

فإن قيل: ما الدليل أن هناك صحابة أخذوه بحرف أو حرفين أو أكثر ؟ قلنا:دليل هذا ما تجده فى سند القراءات، فهناك من الصحابة من تجد اسمه فى سند قراءة كل قارىء كأبى بن كعب، قال محمد عباس الباز فى كتابه مباحث فى علم القراءات:" ومن الصحابة من أخذ القرآن بحرفين ومنهم من زاد حتى جمع القراءات مثل أبيّ بن كعب وسوف تجد اسمه مكتوباً عند عرض سند كل قارئ في هذا الكتاب"[98]

وبعد فإن هذا التمهيد مهم جداً فى بيان اختلاف أخذ التابعين عن الصحابة –رضوان الله عليهم– قال الزرقاني:"ثم إن الصحابة–رضوان الله عليهم– قد اختلف أخذهم عن رسول الله صلّى الله عليه وسلّم، فمنهم من أخذ القرآن عنه بحرف واحد، ومنهم من أخذه عنه بحرفين، ومنهم من زاد، ثم تفرّقوا في البلاد وهم على هذه الحال، فاختلف بسبب ذلك أخذ التابعين عنهم، وأخذ تابعي التابعين وهلم جرا، حتى وصل الأمر على هذا النحو إلي الأئمة القراء المشهورين، الذين تخصصوا وانقطعوا للقراءات، يضبطونها ويعنون بها وينشرونها"[99]

بمعنى أن كان صحابى يقرأ –مثلاً– آية بالنقص مرة وبالزيادة مرة –كما مر بك فى تعيين الأحرف السبعة– فيأخذ منه أحد التابعين قراءته بالنقص ويأخذ منه تابعى آخر قراءته بالزيادة فى هذه الآية، ثم يتفق كلاهما فالأخذ عن الصحابى ذاته فى اختلاف اللغات مثلاً

[98]مباحث فى علم القراءات مع بيان أصول رواية حفص (46/1)

[99]مناهل العرفان (406/1)

كالفتح والإمالة والترقيق والتفخيم والإدغام والإظهار، أو كان الصحابى يقرأ أحد الاسماء فى إحدى الآيات بالجمع مرة وبالإفراد مرة، فيأخذ تابعى عنه حرفه فى تلك الآية بالجمع ويأخذ تابعى آخر حرفه عن ذات الصحابى فى تلك الآية بالإفراد، ثم يكون نفس الصحابى يقرأ أحد الأفعال فى إحدى الآيات بالأمر مرة وبالمضارع مرة، فيأتى كلا التابعان ويأخذان عنه حرفه فى هذه الآية بالفعل الأمر دون الفعل المضارع، فتكون قراءتهما مختلفة فى الآية الأولى ومتفقة فى الآية الآخرى، وهذا التنوع في قراءة الآيات بأحرف قد تتفق أو تختلف مع قارئ آخر –مع علمنا أنها كلها وحي– هذا هو ما نسميه قراءة فلان أو غيره،فكل هذه الأحرف قرآن لا يجوز إنكار شيء منها، ومن هنا نشأت قراءة أحدهم–إن صح تعبير نشأة القراءات– وبعض التابعين كان يأخذ القرآن من أكثر من صحابى، فيأخذ من قراءة هذا ويأخذ من قراءةذاك، ثم إنه يقرأ الآيات على القراءة التى تتيسر له من قراءة هذا أو ذاك.[100]

فإن قيل ما دليلكم على ذلك ؟ أم هو إسترسال بلا دليل ؟

ضربنا لذلك أمثلة لنُثبت ما أشرنا إليه: ما جاء أنه :"اختلف عن «قنبل» في «الصراط، وصراط» فرواه عنه بالسين «ابن مجاهد» وهي رواية «أحمد بن ثوبان» عن «قنبل» ورواية «الحلواني» عن «القوّاس».ورواه عنه «ابن شنبوذ» بالصاد، وكذلك سائر الرواة عن «قنبل»"[101]

وقال الحموى:"قال نافع قرأت على سبعين من التابعين فما اجتمع عليه اثنان أخذته وما شك به واحد تركته حتى ألفت هذه القراءة وقرأ الكسائي على حمزة وغيره فاختار من قراءة

---

[100] قال ابن الجزرى فى النشر (30/1):"إن كانت إحدى القراءتين مترتبة على الأخرى فالمنع من ذلك منع تحريم كمن يقرأ (فتلقى آدم من ربه كلمات) بالرفع فيهما أو بالنصب آخذا رفع آدم من قراءة غير ابن كثير ورفع كلمات من قراءة ابن كثير "

[101] الهادى شرح طيبة النشر فى القراءات العشر (10/2)

غيره نحوا من ثلاثمائة حرف وكذا أبو عمرو على ابن كثير وخالفه في نحو ثلاثة آلاف حرف اختارها من قراءة غيره"[102]

ولا يسعنا أن نذكر كل مظاهر ذلك هاهنا فنكتفى بالإشارة لهذا، ومن هنا يجب التفريق بين القول بالأحرف السبعة والقول بالقراءات، فالقراءات هي ناتج الأحرف السبعة، وهي كلها موحي بها من الله كناتجة عن الأحرف السبعة الموحي بها، وهنا يُفهَم معنى أن نقول حرف فلان أو قراءة فلان، أنه كان أكثر مداومة عليها حتى أُشتُهِر بها وقصده الناس لأخذ هذه القراءة عنه، فصارت معروفة باسمه، وليس أنه الوحيد الذى يقرأ بها أوإخترعها.

قال أبو عمرو الدانى:" وأن معنى إضافة كل حرف مما أنزل الله تعالى إلى من أضيف من الصحابة كأبي وعبد الله وزيد وغيرهم من قبل أنه كان أضبط له وأكثر قراءة وإقراءًا به وملازمة له وميلاً إليه لا غيرذلك وكذلك إضافة الحروف والقراءات إلى أئمة القراءة بالأمصار المراد بها أن ذلك القارئ وذلك الإمام اختار القراءة بذلك الوجه من اللغة وآثره على غيره وداوم عليه ولزمه حتى اشتهر وعرف به وقصد فيه وأخذ عنه فلذلك أضيف إليه دون غيره من القراء وهذه الإضافة إضافة اختيار ودوام ولزوم لا إضافة اختراع ورأي واجتهاد"[103]

وبذلك فقد هوى زعم الزاعم أن هذه القراءات من إختراع أصحابها أو أنها خبر الواحد، وإنما هو الجهل بهذا العلم ليس إلا.

---

[102] أصول القراءات (37/1)

[103] الأحرف السبعة (61/1)، وبهذا المعنى كذلك فى :النشر فى القراءات العشر (1/ 17)،والإتقان فى علوم القرآن (198/1)

هل يقع النسخ فى القراءات ؟

هذا هو السؤال الذى أردنا مما تقدم الوصول إليه، ولا يُمكن الإجابة عليه دونما أن تمر على ما قد مرّ، والإجابة عليه هى نعم يقع النسخ فى القراءات، والمقصود هنا هو منسوخ التلاوة، فعندما تُنسخ قراءة مُعينة لآية وتبقى القراءة الآخرى فهذا يُسمى كذلك بمنسوخ التلاوة، وليس هذا بكلام مستحدث، بل هو معروف منذ قرون مضت عند العلماء،ومن ذلك ما جاءفى سورة الليل{ وَمَا خَلَقَ الذَّكَرَ وَالْأُنْثَى }[الليل: 3]، فكانت فى قراءة ابن مسعود هكذا: (والذكر والأنثى)كما ذكرها الإمام البخارى فى صحيحه [104] قبل أن تُنسخ هذه التلاوة وتبقى التلاوة المثبتة فى المصحف الآن، فقال ابن حجر عن قراءة (والذكر والأنثى):"هذا مما نسخت تلاوته"[105]، وهذه القراءات بعد نسخها تُسمى بالقراءة الشاذة، لم تعد قرآناً فلا يُتلى بها ولا تُحَفَظّ، والباقية تُسمى صحيحة،وسيأتى بيان كل ذلك وتعريفه وتوضيحه فى مواضعه بإذن الله.

ما فائدة نسخ قراءة كانت موجودة ؟ وما فائدة إنزالها إن كانت ستنسخ ؟

فائدة نسخ قراءة كانت موجودة هو ذاته فائدة نسخ التلاوة كما ذُكِرَ مسبقاً فى الكلام على النسخ فلترجع إليه، أما فائدة إنزالها إن كانت ستنسخ فهو معرفة أحكام فالشاذة تُفسِر الصحيحة.

[104] صحيح البخارى (1889/4) دار ابن كثير ، اليمامة – بيروتالطبعة الثالثة ، 1407 – 1987 / وقد ذكرها الزرقانى فى أمثلة الأحرف السبعة .

[105] فتح البارى (707/8)دار المعرفة – بيروت ،1379 – قال ابن حجر : "لعل هذا مما نسخت تلاوته" ولم أذكر لعل هنا إذ المقصود من كلامى بيان أن منسوخ القراءت هو من منسوخ التلاوة ويطلق عليه منسوخ التلاوة، ولا أقصد رد شبهة الآن، وابن حجر –رحمه الله–قد ذكر أدلة نسخ هذه القراءة وهذا كله مما سأتكلم عليه لاحقاً فلا حاجة لذكره هنا الآن، فاستشهادى بكلام ابن حجر الآن لغرض واحد هو بيان أن منسوخ القراءة هو منسوخ التلاوة أو بمعنى أدق هو منه.

قال أبو عبيد في فضائل القرآن:"المقصد من القراءة الشاذة تفسير القراءة المشهورة وتبيين معانيها كقراءة عائشة وحفصة والصلاة الوسطى صلاة العصر وقراءة ابن مسعود فاقطعوا أيمانهما وقراءة جابر فإن الله من بعد إكراههن لهن غفور رحيم قال فهذه الحروف وما شاكلها قد صارت مفسرة للقرآن وقد كان يروى مثل هذا عن التابعين في التفسير فيستحسن فكيف إذا روي عن كبار الصحابة ثم صار في نفس القراءة فهو أكثر من التفسير وأقوى فأدنى ما يستنبط من هذه الحروف معرفة صحة التأويل"[106]

[106] الإتقان فى علوم القرآن (219/1)

الفصل الرابع :

تواتر القرآن الكريم والقراءات

لم يحظ كتاب من الكتب السماوية بالحفظ والتواتر من قِبلَ قومه كما حفظ المسلمون القرآن الكريم بحفظ الله سبحانه وتعالى له، حقيقة لا تُنكر، لا يُمارى فيها إثنان ولا ينتطح فيها عنزان، والقرآن الكريم لا يحتاج فى إثبات تواتره إلى أسانيد تُنقل فى الكتب يُقال قرأ فلان على فلان وفلان وفلان إلى آخره، فنَقل القرآن الكريم من جيل إلى جيل حقيقة معلومة مشاهدة فى أنحاء العالم الإسلامى من زمن النبى –صلى الله عليه وسلم– والصحابة من بعده –رضوان الله عليهم– والتابعين لهم بإحسان إلى يوم الناس هذا، فعند علماء الحديث من أقسام المتواتر: تواتر الطبقة، وقد مثلوا له بتواتر القرآن، إذ تلقاه جيل عن جيل طبقة بعد طبقة، فهو لا يحتاج إلى إسناد، قال الكشميرى:"تواتر الطبقة:وهو أن يأخذ طبقة عن طبقة بلا إسناد، والقرآن متواتر بهذا التواتر، وهذا تواتر الفقهاء"[107]

فهكذا هو تواتر القرآن الكريم، نقلته طبقة من الصحابة عن رسول الله –صلى الله عليه وسلم– إلى طبقة من التابعين إلى طبقة من تبع التابعين وهلم جرا إلى يوم الناس هذا مايزال ينتقل من طبقة إلى طبقة، فإن كنت فى أقصى الغرب الإسلامى تستمع إلى القرآن الكريم ثم ذهبت إلى أقصى الشرق الإسلامى تستمع له لا تجدفرقاً ولا إختلافاً البتة، وهكذا يمكننا نحن المسلمين دون سوانا الإثبات العملى الواقعى على بقاء القرآن الكريم فى الأمة محفوظاً دون تغير ولا تبديل منقولاً بالتواتر من طبقة إلى آخرى .

[107] العرف الشذى للكشميرى تحقيق الشيخ محمود شاكر (40/1)

وقبل أن ننتقل لتمثيل كيفية هذا التواتر نعمد أولاً إلى شبهات الزائغين ممن تعلقوا بحديث لأنس –رضى الله عنه– فى صحيح البخارى يقول: "جمع القرآن على عهد النبي صلى الله عليه وسلم أربعة كلهم من الأنصار أبي ومعاذ بن جبل وأبو زيد وزيد بن ثابت"[108]

فادعوا بذلك أن هذا العدد لا يُفيد تواتر القرآن الكريم وأتخذوا من هذا الأثر منفذاً للطعن فى تواتر القرآن فى طبقة الصحابة، رغم كون الأثر ظاهره وباطنه لا يرمى لهذا من قريب أو بعيد، فالأثر يُحمل للوهلة الأولى على أن من جمع القرآن الكريم كله فى عهد النبى –صلى الله عليه وسلم– هم هؤلاء الأربعة فجمعوا ما بين الدفتين حفظاً ولم يجمع جميعه سواهم، لكن فى ذات الوقت هناك من جمع من الصحابة بعضه ومعظمه وجله، ولا يُشترط فى التواتر أن جميعهم –أى الصحابة– يحفظ جميعه –أى القرآن– بل لو أن يحفظ جمع غفير منهم بعضه ويحفظ جمع بعضاً آخر وهكذا فقد وقع التواتر فى كل ذلك وبالتبعية فيه كله.

قال المازى:"أنه لو ثبت أنه لم يجمعه إلا الأربعة لم يقدح في تواتره؛ فإن أجزاءه حفظ كل جزء منها خلائق لا يحصون، يحصل التواتر ببعضهم، وليس من شرط التواتر أن ينقل جميعهم جميعه، بل إذا نقل كل جزء عدد التواتر صارت الجملة متواترة بلا شك، ولم يخالف في هذا مسلم ولا ملحد"[109]

---

[108] صحيح البخارى(3526)

[109] شرح النووى على مسلم (16/ 19 – 20)

فلو سلمنا بهذا الأثر أخذاً على ظاهره أنه لم يحفظ جميعه إلا هؤلاء ما كان ذلك مطعناً لأن كل جزء منه على حدة متواتر بحفظ جماعة من الصحابة لنفس ذات الجزء وإن لم يكن كلهم حفظ كله، وهو بذلك فى الجملة متواتر فى طبقة الصحابة، لكن هذا الأثر لا يؤخذ هكذا على ظاهره، فلا يُتصور أن أنس –رضى الله عنه– قد إنفرد بكل صحابى على حدة ليعلم أجمع القرآن أم لا !

قال السيوطى فى الإتقان:" وقال المازري لا يلزم من قول أنس لم يجمعه غيرهم أن يكون الواقع في نفس الأمر كذلك لأن التقدير أنه لا يعلم أن سواهم جمعه وإلا فكيف الإحاطة بذلك مع كثرة الصحابة وتفرقهم في البلاد وهذا لا يتم إلا إن كان لقي كل واحد منهم على انفراده وأخبره عن نفسه أنه لم يكمل له جمع في عهد النبي وهذا في غاية البعد في العادة وإذا كان المرجع إلى ما في علمه لم يلزم أن يكون الواقع كذلك"[110]

وهذا من شأنه تقوية ما ذهب إليه ابن حجر من كون ذلك قد قيل فى معرض مفاخرة بين الأوس والخزرج ليس إلا، قال:" وقد ظهر لي احتمال آخر وهو أن المراد إثبات ذلك للخزرج دون الأوس فقط فلا ينفي ذلك عن غير القبيلتين من المهاجرين لأنه قال ذلك في معرض المفاخرة بين الأوس والخزرج كما أخرجه ابن جرير من طريق سعيد بن أبي عروبة عن قتادة عن أنس قال افتخر الحيان الأوس والخزرج فقال الأوس منا أربعة من اهتز له العرش سعد بن معاذ ومن عدلت شهادته رجلين خزيمة بن ثابت ومن غسلته الملائكة حنظلة بن

[110] الإتقان فى علوم القرآن (193/1)

أبي عامر ومن حمته الدبر عاصم بن أبي ثابت فقال الخزرج منا أربعة جمعوا القرآن لم يجمعه غيرهم فذكرهم"[111]

ومما يؤكد ذلك ما قد صح عن أنس بن مالك –رضى الله عنه– ذاته أنه قال:" مات النبي صلى الله عليه وسلم ولم يجمع القرآن غير أربعة أبو الدرداء ومعاذ بن جبل وزيد بن ثابت وأبو زيد قال ونحن ورثناه"[112]

وفى هذه الرواية ذكر أنس صحابى لم يذكره–رضى الله عنه– فى الأثر الأول وهو أبو الدرداء –رضى الله عنه– وبالتالى لا محمل للأثر الأول إلا على ما قد حمله ابن حجر من المفاخرة بين الأوس والخزرج فحسب .

وعن النبي –صلى الله عليه وسلم – أنه قال:"خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب"[113] وهؤلاء الأربعة منهم إثنان هما ابن مسعود وسالم مولى أبى حذيفة لم يذكرهما أنس –رضى الله عنه–، قال ابن حجر –رحمه الله– فى الفتح:"أي تعلموه منهم"، ثم قال:"فالظاهر أنه أمر بالأخذ عنهم في الوقت الذي صدر فيه ذلك القول، ولا يلزم من ذلك أن لا يكون أحد في ذلك الوقت شاركهم في حفظ القرآن، بل كان الذين يحفظون مثل الذين حفظوه وأزيد منهم جماعة من الصحابة"[114]

---

[111] الإتقان فى علوم القرآن (194/1)
[112] صحيح البخارى (4620)
[113] صحيح البخارى (4615)
[114] فتح البارى لابن حجر (48/9) ط دار المعرفة – بيروت

وقد إستفاضت النصوص فى السنن والسير بكثرة حفاظ القرآن الكريم من الصحابةوفيما يلى ذكر لبعض تلك الروايات التى تجلى لك هذا التواتر.

عن أنس بن مالك قال:"جاء ناس إلى النبي صلى الله عليه وسلم فقالوا أن ابعث معنا رجالا يعلمونا القرآن والسنة فبعث إليهم سبعين رجلا من الأنصار يقال لهم القراء فيهم خالي حرام يقرءون القرآن ويتدارسون بالليل يتعلمون وكانوا بالنهار يجيئون بالماء فيضعونه في المسجد ويحتطبون فيبيعونه ويشترون به الطعام لأهل الصفة وللفقراء فبعثهم النبي صلى الله عليه وسلم إليهم فعرضوا لهم فقتلوهم"[115]

وبداهةً لن يُرسل النبى –صلى الله عليه وسلم– كل القراء مع هؤلاء، فإن كان عدد هؤلاء سبعين رجلاً فكيف بمن بقى من القراء ولم يرسله النبى –صلى الله عليه وسلم– ؟

وقد قُتِلَ فى وقعة اليمامة كثيراً من القراء،كما جاء عن عمر بن الخطاب أن قال:"إن القتل قد استحر يوم اليمامة بقراء القرآن وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء بالمواطن "[116]قال ابن حجر –رحمه الله– فى الفتح: "وهذا يدل على أن كثيرًا مِمَّن قتل في وقعة اليمامة كان قد حفظ القرآن، لكن يمكن أن يكون المراد أن مجموعهم جَمَعَهُ، لا أن كل فرد جَمَعَهُ"[117]

---

[115] صحيح مسلم (3522)

[116] صحيح البخارى (4603)

[117] فتح الباري بشرح صحيح البخاري (628/8)

وعن عبد الله بن عمرو بن العاص قال:" جمعت القرآن فقرأت به في كل ليلة فبلغ ذلك رسول الله صلى الله عليه و سلم فقال:اني أخشى أن يطول عليك زمان أن تمل اقرأه في كل شهر قلت يا رسول الله دعني أستمتع من قوتي وشبابي قال اقرأه في كل عشرين قلت يا رسول الله دعني أستمتع من قوتي وشبابي قالاقرأه في عشر قلت يا رسول الله دعني أستمتع من قوتي وشبابي قال اقرأه في كل سبع قلت يا رسول الله دعني استمتع من قوتي وشبابي فأبى"[118]

وعن أبي موسى قال النبي صلى الله عليه وسلم:" إني لأعرف أصوات رفقة الأشعريين بالقرآن حين يدخلون بالليل وأعرف منازلهم من أصواتهم بالقرآن بالليل وإن كنت لم أر منازلهم حين نزلوا بالنهار"[119]

وقد عُرِفَ من قراء الصحابة الخلفاء الأربعة، وطلحة، وسعد بن أبي وقاص، وعبد الله بن مسعود، وحذيفة بن اليمان، وأبو موسى الأشعري، ومعاذ ابن جبل، وأبو زيد الأنصاري، وسالم مولى أبي حذيفة، وعبد الله بن عمر، وعقبة بن عامر[120]

وأبو أيوب الأنصاري، وعبادة بن الصامت، ومُجَمِّع بن جارية، وفضالة بن عبيد، ومسلمة بن مخلد، وأُمِّ وَرَقَةَ بِنْتِ عَبْدِ اللهِ بْنِ الْحَارِثِ الأَنْصَارِيِّ، وعبد الله بن عباس، وأبو هريرة، وعبد الله بن السائب بن أبي السائب الْمخزومي، وعبد الله بن عياش بن أبي ربيعة[121]

[118]مسند أحمد (163/2) ط مؤسسةقرطبة–القاهرة / تعليق شعيب الأرنؤوط : صحيح لغيره
[119]صحيح البخارى (3906)
[120]معرفة القراء الكبار (42/1)

وقد ذكر الإمام أبو عبيد القاسم بن سلامه في أول كتابه في القراءات من نقل عنهم شيء من وجوه القراءة من الصحابة وغيرهم، فذكر من الصحابة أبا بكر، وعمر، وعثمان، وعليا، وطلحة، وسعداً، وابن مسعود، وحذيفة، وسالماً، وأبا هريرة، وابن عمر، وابن عباس، وعمرو بن العاص، وابنه عبد الله، ومعاوية، وابن الزبير، وعبد الله بن السائب، وعائشة، وحفصة، وأم سلمة: وهؤلاء كلهم من المهاجرين وذكر من الأنصار أبي بن كعب، ومعاذ ابن جبل، وأبا الدرداء، وزيد بن ثابت، وأبا زيد، ومجمع بن جارية، وأنس ابن مالك رضي الله عنهم أجمعين.[122]

وعن عبادة بن الصامت قال: "كان رسول الله صلى الله عليه و سلم يشغل فإذا قدم رجل مهاجر على رسول الله صلى الله عليه و سلم دفعه إلى رجل منا يعلمه القرآن"[123]

فانظر إلى عناية النبى –صلى الله عليه وسلم– بتحفيظ القرآن لكل مسلم جديد، وإهتمامه –صلى الله عليه وسلم– أن يؤدى القرآن إلى كل رجل من أصحابه، لا إلى فئة دون الآخرى، وتأمل قوله: "دفعه إلى رجل منا" بما يحويه من الدلالة على أنه إلى أيٍ منهم دُفِعَ فسيُعلَم، وهذا يدلك على أن ما من رجل من الصحابة إلا ويحفظ القرآن الكريم أو منه .

وأما فى طبقة التابعين فقد روى الإمام مسلم فى صحيحه:" بعث أبو موسى الأشعرى إلى قراء أهل البصرة فدخل عليه ثلاثمائة رجل قد قرءوا القرآن فقال أنتم خيار أهل البصرة

---

[121] جمال القراء وكمال الإقراء (424/2)

[122] النشر فى القراءات العشر (14/1)

[123] مسند أحمد (324/5) ط مؤسسةقرطبة–القاهرة / تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده حسن

وقراؤهم فاتلوه ولا يطولن عليكم الأمد فتقسو قلوبكم كما قست قلوب من كان قبلكم"[124]

وإن كان لا يوجد إلا هؤلاء فى طبقة التابعين لكفوا لتحقيق التواتر فى تلك الطبقة، ولكن نذكر أيضاً ما ورد فى الآثر من قراء أبى الدرداء –رضى الله عنه– ما ذكره الذهبى عن مسلم ابن مشكم قال: " قال لي أبو الدرداء اعدد من يقرأ عندي القرآن فعددتهم ألفا وست مئة ونيفا وكان لكل عشرة منهم مقرىء وكان أبو الدرداء يكون عليهم قائما وإذا أحكم الرجل منهم تحول إلى أبي الدرداء رضي الله عنه"[125]

فتأمل هنا أمرين: الأول هو هذا العدد الضخم من حفاظ القرآن الكريم فى تلك الطبقة، أما الأمر الثانى فتلاحظه فى قوله:"لكل عشرة منهم مقرىء"، وهو أداء كل طبقى للقرآن الكريم إلى الطبقة التى تليها فى عناية وإهتمام حتى يرث القرآن الكريم جيل بعد جيل وطبقة بعد طبقة خلائق لا يحصون كثرة وهو أمرمستمر فى الأمة إلى يوم الناس هذا، فما من كتاب على ظهرها يضاهى هذا الكتاب تواتراً ونقلاً بتلك العناية والإهتمام .

[124] صحيح مسلم (2466)
[125] معرفة القراء الكبار (42/1)

مسألة تواتر القراءات القرآنية :-

كما سبق وذكرنا أن القراءات القرآنية هى ناتج الأحرف السبعة، وأن القارىء يأخذ من قراءة هذا الصحابى أو ذاك، ثم يقرأ القرآن فى الجملة بقراءات تتيسر له من قراءة هذا ومن قراءة ذاك فى نفس الوقت، وقد إنتهى الأمر إلى عشرة قراء قد أخذوا قراءاتهم من قراء شتى، ثم قرءوا بما يسر الله لهم من قراءة هذا القارىء أو ذاك أو غيرهما بحيث أنهم نهايةً أخرجوا لنا قراءاتهم تلك، وصار الناس بعد ذلك يأخذون عنهم دون أن يؤلف أحد قراءة جديدة، فالقراءات العشرة هى إختيار أصحابها أو تأليف أصحابها من حيث أنهم يأخذون فى آية قراءة قارىء وفى آخرى قراءة قارىء آخر ممن سبقوهم، لا من حيث أنهم يخترعونها أو يضيفون شيئاً جديدا كما يتوهم الزائغون، وقد سبق وقدمنا الأدلة على كل ذلك وما استخدمنا هنا إلا ألفاظ العلماءفارجع –إن شئت غير مأمور– إلى فصل القراءات.

ولما كانت القراءات فيما بينها إختلافات تبعاً للأحرف السبعة، فقد إدعى البعض عدم تواتر القراءات؛ وذلك لوجود خلاف فى بعض الأحرف بين القراءات، ولكن هذا السبب لا يصح، فكما أنه ليس من شروط تواتر القرآن الكريم أن يحفظ جميع الصحابة أو جميع المسلمين جميع القرآن، فكذلك ليس من شروط تواتر القراءات أن يحفظ جميع القراءات جميع القراء، بل إن حفظ جمع غفير يبلغ مبلغ التواتر لقراءة وحفظ جمع آخر لقراءة آخرى وهكذا فقد تواترت تلكم القراءات، والواقع يشهد بذلك؛ فكما مر بك ما ذكره الذهبى عن مسلم ابن مشكم قال: " قال لي أبو الدرداء اعدد من يقرأ عندي القرآن

فعددتهم ألفا وست مئة ونيفا وكان لكل عشرة منهم مقرىء وكان أبو الدرداء يكون عليهم قائما وإذا أحكم الرجل منهم تحول إلى أبي الدرداء رضي الله عنه"[126]

وقد كان ابن عامر وهو أحد القراء العشرة المتصدرين للإقراء عريف لأبى الدرداء، ولما مات أبو الدرادء قام ابن عامر محله؛ قال الذهبى: " قال سويد بن عبدالعزيز كان أبو الدرداء إذا صلى الغداة في جامع دمشق اجتمع الناس للقراءة عليه فكان يجعلهم عشرة عشرة وعلى كل عشرة عريفا ويقف هو في المحراب يرمقهم ببصره فإذا غلط أحدهم رجع إلى عريفه فإذا غلط عريفهم رجع إلى أبي الدرداء يسأله عن ذلك، وكان ابن عامر عريفا على عشرة كذا قال سويد فلما مات أبو الدرداء خلفه ابن عامر"[127]

فكل هؤلاء كانوا يقرأون على قراءة ابن عامر، وهو عدد يبلغ مبلغ التواتر، وقد أدوا تلك القراءة لغيرهم من تابعيهم وتابعيهم إلى تابعيهم وهلم جرا، فهو دليل تواتر القراءات بلا شك، ولا يضير فى ذلك أن سند تلكم القراءات آحاد، فلا يشترط فى التواتر نقل أسانيد أصلاً، كما قال الكشميرى: "تواتر الطبقة:وهو أن يأخذ طبقة عن طبقة بلا إسناد، والقرآن متواتر بهذا التواتر، وهذا تواتر الفقهاء"[128]

ولذا نقل الزرقانى عن ابن السبكى قوله: " القراءات السبع متواترة تواترا تاما أي نقلها عن النبي صلى الله عليه وسلم جمع يمتنع عادة تواطؤهم على الكذب لمثلهم وهلم جرا، ولا يضر كون أسانيد القراء آحادا إذ تخصيصها بجماعة لا يمنع مجيء القراءات عن غيرهم بل هو الواقع فقد تلقاها عن أهل كل بلد بقراءة إمامهم الجم الغفير عن مثلهم وهلم جرا.

---

[126] معرفة القراء الكبار (42/1)

[127] معرفة القراء الكبار (42/1)

[128] العرف الشذى للكشميرى تحقيق الشيخ محمود شاكر (40/1)

وإنما أسندت إلى الأئمة المذكورين ورواتهم المذكورين في أسانيدهم لتصديهم لضبط حروفها وحفظ شيوخهم الكمل فيها"[129]

وقد تعقبه فى ذلك الزرقانى، ثم أجاب على التعقيب فقال: " وقد يناقش هذا بأنها لو تواترت جميعا ما اختلف القراء في شيء منها لكنهم اختلفوا في أشياء منها فإذا لا يسلم أن تكون كلها متواترة.

ويجاب عن هذا بأن الخلاف لا ينفي التواتر بل الكل متواتر وهم فيه مختلفون فإن كل حرف من الحروف السبعة التي نزل بها القرآن بلغه الرسول صلى الله عليه وسلم إلى جماعة يؤمن تواطئهم على الكذب حفظا لهذا الكتاب وهم بلغوه إلى أمثالهم وهكذا. ولا شك أن الحروف يخالف بعضها بعضا فلا جرم تواتر كل حرف عند من أخذ به وإن كان الآخر لم يعرفه ولم يأخذ به. وهنا يجتمع التخالف والتواتر. وهنا يستقيم القول بتواتر القراءات السبع بل القراءات العشر "[130]

وكلام الزرقانى فى رد تعقيبه على ابن السبكى هو ما قد قدمنا له الأدلة فيما سبق، فلا يشغبن عليه شاغب.

---

[129] مناهل العرفان (1/436)

[130] مناهل العرفان (1/437) ولمن أراد فى هذا الأمر من إخواننا المسلمين مناقشة علمية كاملة فليرجع إلى (1/441) من مناهل العرفان فيما بسطه الزرقانى من أقوال ابن الجزرى، وأما الطاعنون فى التواتر من النصارى والملاحدة والمستشرقين فيكفيهم ما قدمنا فى هذا، فليسوا إلا أدوات نقل لأقوال تدعى عدم التواتر دون فهم لأقوال من نقلوا عنهم، فها قد بينا سبب قول من قال بعدم التواتر، وقد نقضنا هذا السبب وذاك يكفيهم فقد بسطنا الأمر ليستوعبوا؛ فلن يستوعبوا مصطلحات علماء القراءات هنالك.

الباب الثالث

جمع القرآن كتابةً والشبهات المثارة حول الجمع

الفصل الأول :

مراحل جمع القرآن الكريم كتابةً

حفظ القرآن و كتابته فى عهد رسول الله–صلى الله عليه و سلم–

يختلف القرآن الكريم عن غيره من الكتب السماوية السابقة فى كونه كتاباً محفوظاً فى الصدور، لا فى السطور، قال تعالى :{بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّاالظَّالِمُونَ}[العنكبوت: 49]

قال ابن الجزرى:"ثم إن الاعتماد في نقل القرآن على حفظ القلوب والصدور، لا على خط الْمصاحف والكتب، وهذه أشرف خصيصة من الله تعالى لهذه الأمة"[131]

ولكن لم يمنع هذا من تدوين القرآن كتابةً زمن النبى –صلى الله عليه وسلم– فعنه –صلى الله عليه وسلم– قال:" لا تكتبوا عني شيئاً غير القرآن، ومن كتب عني غير القرآن فليمحه"[132]

وكان –صلى الله عليه وسلم– إذا نزل عليه شيئاً من القرآن دعا كتبة الوحى لكتابته من فورهم، فعن زيد بن ثابت قال:" دخل نفر على فقالوا حدثنا ببعض حديث رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال وما أحدثكم كنت جاره فكان إذا نزل الوحي أرسل إلي فكتبت الوحي"[133]

---

[131]النشر فى القراءات العشر (6/1)

[132]صحيح الجامع (7434) ، قال الألبانى : صحيح

[133]مجمع الزوائد (578/8) ، قال الهيثمى : صحيح

وعنه –رضى الله عنه– قال:" كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع"[134]

والتأليف هنا بمعنى الجمع، جاء فى لسان العرب:"وأَلَّفْتُ بينهم تأْلِيفاً إذا جَمَعْتَ بينهم بعد تَفَرُّقٍ وأَلَّفْتُ الشيء تأْلِيفاً إذا وصلْت بعضه ببعض ومنه تأْلِيفُ الكتب وأَلَّفْتُ الشيءَ أَي وصَلْتُه"[135]

وهو جمع الآيات والسور بعضها إلى بعض، فقد مر بك فى الباب الأول أن القرآن نزل منجماً حسب الوقائع والأحداث، فترتيب الآيات والسور ليس على ترتيب النزول.

قال السيوطى:"قال البيهقي يشبه أن يكون أن المراد به تأليف ما نزل من الآيات المتفرقة في سورها وجمعها فيها بإشارة النبي"[136]

لكن لم يُجمع القرآن الكريم فى عهد النبى –صلى الله عليه وسلم– فى كتاب جامع واحد أو مصحف واحد للأسباب التالية : "أن النبي صلى الله عليه وسلم كان بصدد أن ينزل عليه الوحي بنسخ ما شاء الله من آية أو آيات، وأن القرآن لم ينزل مرة واحدة بل نزل منجما في مدى عشرين سنة أو أكثر، وأن ترتيب آياته وسوره ليس على ترتيب نزوله فقد علمت أن نزوله كان على حسب الأسباب أما ترتيبه فكان لغير ذلك من الاعتبارات، وأنت خبير بأن القرآن لو جمع في صحف أو مصاحف والحال على ما شرحنا لكان عرضة لتغيير الصحف

[134] صحيح الترمذى (3954) ، قال الألبانى : صحيح
[135] لسان العرب (9/9) حرف الفاء مادة ألف
[136] الإتقان فى علوم القرآن (160/1)

أو المصاحف كلما وقع نسخ أو حدث سبب مع أن الظروف لا تساعد وأدوات الكتابة ليست ميسورة والتعويل كان على الحفظ قبل كل شيء"[137]

جمع القرآن زمن أبى بكر الصديق

عن زيد بن ثابت قال: " أرسل إلي أبو بكر مقتل أهل اليمامة وعنده عمر فقال أبو بكر إن عمر أتاني فقال إن القتل قد استحر يوم اليمامة بالناس وإني أخشى أن يستحر القتل بالقراء في المواطن فيذهب كثير من القرآن إلا أن تجمعوه وإني لأرى أن تجمع القرآن قال أبو بكر قلت لعمر كيف أفعل شيئا لم يفعله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال عمر هو والله خير فلم يزل عمر يراجعني فيه حتى شرح الله لذلك صدري ورأيت الذي رأى عمر قال زيد بن ثابت وعمر عنده جالس لا يتكلم فقال أبو بكر إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم فتتبع القرآن فاجمعه فوالله لو كلفني نقل جبل من الجبال ما كان أثقل علي مما أمرني به من جمع القرآن قلت كيف تفعلان شيئا لم يفعله النبي صلى الله عليه وسلم فقال أبو بكر هو والله خير فلم أزل أراجعه حتى شرح الله صدري للذي شرح الله له صدر أبي بكر وعمر فقمت فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال"[138]

[137] مناهل العرفان فى علوم القرآن (1/248 – 249) بتصرف بسيط

[138] صحيح البخارى (4311)

نسخ المصاحف زمن عثمان بن عفان

عن أنس بن مالك قال:" أن حذيفة بن اليمان قدم على عثمان وكان يغازي أهل الشأم في فتح إرمينية وأذربيجان مع أهل العراق فأفزع حذيفة اختلافهم في القراءة فقال حذيفة لعثمان يا أمير المؤمنين أدرك هذه الأمة قبل أن يختلفوا في الكتاب اختلاف اليهود والنصارىفأرسل عثمان إلى حفصة أن أرسلي إلينا بالصحف ننسخها في المصاحف ثم نردها إليك فأرسلت بها حفصة إلى عثمان فأمر زيد بن ثابت وعبد الله بن الزبير وسعيد بن العاص وعبد الرحمن بن الحارث بن هشام فنسخوها في المصاحف وقال عثمان للرهط القرشيين الثلاثة إذا اختلفتم أنتم وزيد بن ثابت في شيء من القرآن فاكتبوه بلسان قريش فإنما نزل بلسانهم ففعلوا حتى إذا نسخوا الصحف في المصاحف رد عثمان الصحف إلى حفصة وأرسل إلى كل أفق بمصحف مما نسخوا وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق"[139]

قال ابن الجزرى: "فوجه بمصحف إلى البصرة ومصحف إلى الكوفة ومصحف إلى الشام وترك مصحفاً بالمدينة وأمسك لنفسه مصحفاً الذي يقال له الإمام ووجه بمصحف إلى مكة وبمصحف إلى اليمن وبمصحف إلى البحرين " وقال كما ذُكِرَ سابقاً:" وجردت هذه المصاحف جميعها من النقط والشكل ليحتملها ما صح نقله وثبت تلاوته عن النبي صلى الله عليه وسلم إذ كان الاعتماد على الحفظ لا على مجرد الخط"[140]

[139] صحيح البخارى (4604)

[140] النشر فى القراءات العشر (16/1)

الفصل الثانى :

شبهات حول الجمع

الشبهة الأولى:-

كتاب الله يُزاد فيه بعد وفاة النبى –صلى الله عليه وسلم– زعموا .

أخرج ابن الضريس فى فضائل القرآن قال: " أخبرنا أحمد قال: حدثنا محمد قال: حدثنا أبو علي بشر بن موسى قال: حدثنا هوذة بن خليفة قال: حدثنا عوف عن محمد بن سيرين عن عكرمة فيما أحسب قال: لما كان بعد بيعة أبي بكر رضي الله عنه، قعد علي بن أبي طالب في بيته. فقيل لأبي بكر: قد كره بيعتك. فأرسل إليه فقال: أكرهت بيعتي ؟ فقال: لا والله قال : ما أقعدك عني ؟ قال: رأيت كتاب الله يزاد فيه، فحدثت نفسي أن لا ألبس ردائي إلا لصلاة حتى أجمعه. فقال أبو بكر: فإنك نعم ما رأيت"[141]

وهذه رواية ضعيفة علتها إنقطاع السند؛ فرواية عكرمة عن أبى بكر وكذا عن على مرسلة[142]

وقد جاءت الرواية من طريق آخر ليس بها تلك اللفظة (رأيت كتاب الله يزاد فيه) وهي كذلك منقطعة السند.

قال ابن كثير:"وقد روي أن عليًا، رضي الله عنه، أراد أن يجمع القرآن بعد رسول الله صلى الله عليه وسلم مرتبا بحسب نزوله أولا فأولا كما رواه ابن أبي داود حيث قال: حدثنا محمد بن إسماعيل الأحمسي، حدثنا ابن فضيل، عن أشعث، عن محمد بن سيرين قال: لما توفي النبي صلى الله عليه وسلم أقسم علي ألا يرتدي برداء إلا لجمعة حتى يجمع

[141] فضائل القرآن لابن الضريس (ص25)
[142] المراسيل لابن أبي حاتم (1/158)

القرآن في مصحف ففعل، فأرسل، إليه أبو بكر، رضي الله عنه، بعد أيام: أكرهت إمارتي يا أبا الحسن؟ فقال: لا والله إلا أني أقسمت ألا أرتدي برداء إلا لجمعة. فبايعه ثم رجع. هكذا رواه وفيه انقطاع، ثم قال: لم يذكر المصحف أحد إلا أشعث وهو لين الحديث وإنما رووا حتى أجمع القرآن، يعني أتم حفظه، فإنه يقال للذي يحفظ القرآن: قد جمع القرآن."[143]

[143] تفسير القرآن العظيم (1/33) دارطيبةللنشروالتوزيع، الطبعة : الثانية

الشبهة الثانية :-

القرآن ألف ألف حرف وسبعة وعشرون ألف حرف .

أخرج الطبرانى فى الأوسط قال: " حدثنا محمد بن عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلاني حدثني أبي عن جدي آدم بن أبي إياس ثنا حفص بن ميسرة عن زيد بن أسلم عن أبيه عن عمر بن الخطاب قال قال رسول الله صلى الله عليه و سلم القرآن ألف ألف حرف وسبعة وعشرون ألف حرف فمن قرأه صابرا محتسبا كان له بكل حرف زوجة من الحور العين"[144]

قال الذهبى: "محمد بن عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلاني تفرد بخبر باطل"[145] ثم ذكر ذلك الخبر الباطل .

وقال الألبانى: "قال الطبراني في "معجمه الأوسط": حدثنا محمد بن عبيد قال: حدثنا أبي، عن جدي، عن حفص بن ميسرة، عن زيد بن أسلم، عن أبيه، عن عمر رضي الله عنه مرفوعاً. وقال:"لا يروى عن عمر إلا بهذا الإسناد" .

كذا في ترجمة محمد بن عبيد بن آدم بن أبي إياس العسقلاني من "الميزان"، وقال:"تفرد بخبر باطل" ثم ساق هذا، وأقره الحافظ في "اللسان"وأشار إليه الهيثمي في "المجمع" (7/ 163) وقال:"ولم أجد لغيره في ذلك كلاماً ، وبقية رجاله ثقات" .

---

[144] المعجم الأوسط (361/6) (6616)
[145] ميزان الإعتدال فى نقد الرجال (251/6)

قلت : لوائح الوضع على حديثه ظاهرة ، فمثله لا يحتاج إلى كلام ينقل في تجريحه بأكثر مما أشار إليه الحافظ الذهبي ثم العسقلاني ؛ من روايته لمثل هذا الحديث وتفرده به !"[146]

وقال بموضع آخر: "(موضوع) انظر حديث رقم : 4133 في ضعيف الجامع"[147]

[146] سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة (70/9) (4073)
[147] صحيح وضعيف الجامع الصغير (210/18) (8563)

الشبهة الثالثة:–

قرآن كثير ذهب مع محمد .

جاء في مصنف عبد الرزاق: "عن معمر عن بن جدعان عن يوسف بن مهران أنه سمع بن عباس يقول أمر عمر بن الخطاب مناديا فنادى أن الصلاة جامعة ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس لا تخدعن عن آية الرجم فإنها قد نزلت في كتاب الله عز وجل وقرأناها ولكنها ذهبت في قرآن كثير ذهب مع محمد"[148]

وهذا فيه علتان: الأولى: ابن جدعان وهو علي بن زيد بن جدعان الإمام أبو الحسن التيمي القرشي البصري الأعمى عالم البصرة[149] وحديثه لا يُحتج به.

قال ابن حبان: " يوسف بن مهران يروى عن ابن عباس روى عنه على بن زيد بن جدعان"[150] وقال الإمام مسلم: "وممن تفرد عنه علي بن زيد بن جدعان التيمي تيم قريش بالرواية يوسف بن مهران"[151] وذكر بعدهم خلق .

وابن جدعان ضعيف لا يُحتج بحديثه؛ قال ابن أبى حاتم: " نا عبد الرحمن قال قرئ على العباس بن محمد الدوري عن يحيي بن معين قال على بن زيد بن جدعان ليس بحجة، نا

[148] مصنف عبد الرزاق (330/7) رقم (13364)
[149] تذكرة الحفاظ للذهبى (106/1)
[150] الثقات لابن حبان (551/5)
[151] المنفردات والوحدان مسلم بن الحجاج النيسابوري (180/1)

عبد الرحمن قال سألت ابى عن على بن زيد فقال ليس بقوى يكتب حديثه ولا يحتج به"[152]

وقال ابن عدى فى كامله: "عن يحيى قال علي بن زيد بن جدعان بصري ضعيف ... قال السعدي علي بن زيد بصري واهي الحديث ضعيف لا يحتج بحديثه ... أيوب بن سليمان بن سافري قال سألت أحمد بن حنبل عن علي بن زيد فقال ليس بشئ"[153]

فالعلة الأولى التى تُضعف الرواية هى ضعف ابن جدعان .

الثانية: رواية معمر عن أهل البصرة، ومعمر هو معمر بن راشد الإمام الحجة أبو عروة الأزدي مولاهم البصري أحد الأعلام وعالم اليمن حدث عن الزهري وقتادة وعمرو بن دينار وزياد بن علاقة ويحيى بن أبي كثير ومحمد بن زياد الجمحي وطبقتهم حدث عنه السفيانان وابن المبارك وغندر وابن علية ويزيد بن زريع وعبد الأعلى بن عبد الأعلى وهشام بن يوسف وعبد الرزاق وخلق[154]

ومعمر قد حدث بتلك الرواية عن ابن جدعان والأخير من أهل البصرة، وحديث معمر عن أهل البصرة لا يستقيم، قال الباجى: " قال أبو حاتم ما حدث معمر بن راشد بالبصرة ففيه أغاليط وهو صالح الحديث قال أبو بكر بن أبي خيثمة سمعت يحيى بن معين يقول إذا

---

[152] الجرح والتعديل (187/6)

[153] الكامل فى ضعفاء الرجال لابن عدى (197/5)

[154] تذكرة الحفاظ للذهبى (142/1)

حدثك معمر عن العراقيين فخالفه إلا عن الزهري وابن طاوس فإن حديثه عنهما مستقيم فأما أهل الكوفة وأهل البصرة فلا"[155]

فلأجل هذا فالرواية ضعيفة من جهة السند لا تنهض حجة ولا يصح القول بما فيها من وجود قرآن قد ذهب مع النبى –صلى الله عليه وسلم– وهى كذلك منكرة من جهة المتن؛ فقد مر بك عناية النبى –صلى الله عليه وسلم– والصحابة –رضوان الله عليهم– فى أداء القرآن الكريم إلى الأمة من بعدهم دون أن يسقط منه شيئا .

[155] التعديل والتجريح (818/8)

الشبهة الرابعة:-

ذهاب حروف من القرآن مع القتلى من القراء .

زعموا أن كثرة القتلى من الحفاظدليل على ضياع القرآن الكريم؛وتعلقوا فى ذلك بما رواه ابن عبد الرزاق فى مصنفه قال:" قال الثوري وبلغنا أن ناسا من أصحاب النبي صلى الله عليه و سلم كانوا يقرؤن القرآن أصيبوا يوم مسيلمة فذهبت حروف من القرآن"[156]

وما رواه ابن أبى داود فى كتابه «المصاحف»، قال: "حدثنا عبد الله قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن خلاد قال: حدثنا يزيد قال: أخبرنا مبارك، عن الحسن، أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله فقيل كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة فقال: إنا لله وأمر بالقرآن فجمع، وكان أول من جمعه في المصحف"

وكذا ما رواه فى موضع آخر قال: " حدثنا أبو الربيع قال: أخبرنا ابن وهب قال: أخبرني يونس، عن ابن شهاب قال: بلغنا أنه كان أنزل قرآن كثير، فقتل علماؤه يوم اليمامة، الذين كانوا قد وعوه فلم يعلم بعدهم ولم يكتب"

فأما ما ذكره عبد الرزاق فى مصنفه وكذا ابن أبى داود عن ابن شهاب فى كتابه«المصاحف»فلا أصل له؛ فقد جاء عن الثورى وابن شهاب بصيغة بلغنا وهى من صيغ التمريض التى تضعف الرواية كونها بلا إسناد.

---

[156] مصنف عبد الرزاق (330/7) ط المكتب الإسلامي – بيروت الطبعة الثانية

قال عبد الرحمن السيوطى: " الثالثة قولهم هذا الحديث ليس له أصل أو لا أصل له قال ابن تيمية معناه ليس له إسناد، وإذا أردت رواية الضعيف بغير إسناد فلا تقل قال رسول الله صلى الله عليه و سلم كذا وما أشبههمن صيغ الجزم بأن رسول الله صلى الله عليه و سلم قاله، بل قل روي عنه كذا أو بلغنا عنه كذا أو ورد عنه أو جاء عنه أو نقل عنه وما أشبه من صيغ التمريض"[157]

وأما رواية ابن أبى داود الآخرى قال: " حدثنا عبد الله قال: حدثنا عبد الله بن محمد بن خلاد قال: حدثنا يزيد قال: أخبرنا مبارك، عن الحسن، أن عمر بن الخطاب سأل عن آية من كتاب الله فقيل كانت مع فلان فقتل يوم اليمامة فقال: إنا لله وأمر بالقرآن فجمع، وكان أول من جمعه في المصحف"

فالرواية ضعيفة لا تنهض حجة بسندها علتان:

الأولى: مبارك وهو: مبارك بن فضالة وهو ابن أبي أمية مولى عمر بن الخطاب رضي الله عنه يكنى أبا فضالة[158]، وقد ضعفه أحمد بن حنبل[159] والنسائى[160]

وذكره ابن حجر فى الطبقة الثالثة من طبقات المدلسين قال:" مبارك بن فضالة البصري مشهور بالتدليس وصفه به الدارقطني وغيره وقد أكثر عن الحسن البصري"[161]

---

[157]تدريب الراوى (297/1)

[158]الضعفاء والمتروكين لابن الجوزى (33/3)

[159]المصدر السابق

[160]الضعفاء والمتروكين للنسائى (239/1)رقم (574)

[161]طبقات المدلسين (ص: 43)

وهى الطبقة التى قال فيها: "الثالثة مَنْ أَكثَرَ مِنَ التدليس فلم يحتج الائمة من أحاديثهم الا بما صرحوا فيه بالسماع ومنهم من رد حديثهم مطلقا ومنهم من قبلهم كأبي الزبير المكي"[162]

وهو هنا لم يصرح بالسماع بل قال: "عن" فحديثه مردود .

العلة الثانية: الإنقطاع بين الحسن البصرى وعمر بن الخطاب؛فقد ولد الحسن لسنتين بقيتا من خلافة عمر[163]ولم يسمع منه .

وقال ابن أبى حاتم: " حدثنا محمد بن سعيد بن بلج قال سمعت عبدالرحمن ابن الحكم يقول سمعت جريرا يسأل بهزا يعني ابن أسد عن الحسن من لقي من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال سمع من ابن عمر حديثا قال جرير فعلى من اعتماده قال على كتب سمرة قال فهذا الذي يقول أهل البصرة سبعين بدريا قال هذا كلام السوقة قال ثم قال بهز حدثنا حماد بن زيد عن أيوب قال ما حدثنا الحسن عن أحد من أهل بدر مشافهة"[164]

وقد أجاب الزرقانى عن شبهة كثرة القتلى من الحفاظ فقال: " أن نفس ما كان يتحفظه الشهداء من القراء كان يتحفظه كثير غيرهم أيضا من الأحياء الذين لم يستشهدوا ولم يموتوا بدليل قول عمر: "وأخشى أن يموت القراء من سائر المواطن" ومعنى هذا أن القراء لم يموتوا كلهم، إنما المسألة مسألة خشية وخوف. ومعلوم أن أبا بكر كان من الحفاظ وكذلك عمر وعثمان وعلي وزيد بن ثابت وغيرهم وهؤلاء عاشوا حتى جمع القرآن في

[162] المصدر السابق (ص:13)
[163] سير أعلام النبلاء (564/4)
[164] المراسيل لابن أبى حاتم (ص:32)

الصحف وعاش منهم من عاش حتى نسخ في المصاحف وحينئذ فكتابة زيد ما كتبه هي كتابة لكل القرآن لم تفلت منه كلمة ولا حرف"[165]

[165] مناهل العرفان (272/1)

الشبهة الخامسة:–

نسبة الخطأ إلى كُتاب المصاحف .

حدثنا عبد الله قال حدثنا عمرو بن عبد الله الأودي، حدثنا أبو معاوية، عن هشام بن عروة، عن أبيه، قال: "سألت عائشة عن لحن القرآن، إن هذان لساحران، وعن قوله: والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة وعن قوله والذين هادوا والصابئون فقالت: "يا ابن أختي، هذا عمل الكتاب أخطئوا في الكتاب""[166]

ذكره السيوطي[167] وقال: " صحيحٌ على شرط الشيخين "، وما هو بذلك؛ فالرواية ضعيفة لأجل أبى معاوية الضرير وهو محمد بن حازم ثقة فى الأعمش وفى غيره مضطرب، وروايته عن هشام بن عروة مضطربة غير صحيحة .

قال أبو داود: " قلت لاحمد كيف حديث أبي معاوية عن هشام ابن عروة ؟ قال: فيها أحاديث مضطربة يرفع منها أحاديث إلى النبي صلى الله عليه وسلم"[168] وقال الأثرم: "قلت لأبى عبد الله، أبو معاوية صحيح الحديث عن هشام ؟ قال: لا، ما هو بصحيح الحديث عنه"[169]

فإن قيل: كيف وقد أخرج له البخارى فى صحيحه بهذا الإسناد كما ذكر السيوطى ؟!

[166] تاريخ المدينة (1014/3)
[167] في الإتقان(269/2)
[168] تهذيب التهذيب (122/9)
[169] شرح علل الترمذى لابن رجب (488/2)

فالجواب ما قد قال ابن حجر: " محمد بن حازم أبو معاوية الضرير مشهور بكنيته قال يحيى بن معين كان أثبت أصحاب الأعمش بعد شعبة وسفيان وقال أبو حاتم أثبت الناس في الأعمش سفيان ثم أبو معاوية وتكلم فيه بعضهم من أجل الإرجاء وقال يعقوب بن شيبة وبن سعد كان ثقة ربما دلس وكان يرمي بالإرجاء وقال أبو داود كان مرجئا وقال النسائي ثقة كذا قال بن خراش وزاد في حديثه عن غير الأعمش اضطراب وكذا قال أحمد بن حنبل وغيره زاد أحمد أحاديثه عن هشام بن عروة فيها اضطراب قلت لم يحتج به البخاري إلا في الأعمش وله عنده عن هشام بن عروة عدة أحاديث توبع عليها وله عنده عن بريد بن أبي بردة حديث واحد تابعه عليه أبو أسامة عند الترمذي"[170]

فالبخارى لم يحتج به إلا فى الأعمش وما رواه عنه من حديث هشام بن عروة قد توبع عليه

حدثنا عبد الله قال حدثنا الفضل بن حماد الخبري، حدثنا خلاد يعني ابن خالد، حدثنا زيد بن الحباب، عن أشعث، عن سعيد بن جبير قال: "في القرآن أربعة أحرف لحن: الصابئون، والمقيمين، فأصدق وأكن من الصالحين، وإن هذان لساحران"

فيه الأشعث وهو ضعيف .

قال الدارقطنى: " الأشعث بن براز بصري يروي عن علي بن زيد وقتادة روى عنه زيد بن الحباب وأبو سلمة موسى بن إسماعيل ويحيى بن يحيى ومسلم بن إبراهيم وأبو عون الزيادي وغيرهم وليس بالقوي"[171]وقولهم ليس بالقوى هى من مراتب التجريح والتى تناظر قولهم ضعيف .

---

[170]فتح البارى (438/1)

[171]المؤتلف والمختلف للدارقطنى (20/1)

قال السخاوى: "سادس المراتب فلان فيه مقال أو أدنى مقال وفلان ضعف وفلان فيه أو في حديثه ضعف وفلان تنكر يعني مرة وتعرف يعني أخرى وفلان ليس بذاك وربما قيل ليس بذاك القوي أو ليس بالمتين أو ليس بالقوي"[172]

حدثنا أحمد بن إبراهيم قال، حدثنا علي بن مسهر، عن هشام بن عروة، عن أبيه قال: "سألت عائشة رضي الله عنها عن لحن القرآن "إن هذان لساحران" وقوله "إن الذين آمنوا والذين هادوا والصابئون والنصارى"، "والمقيمين الصلاة والمؤتون الزكاة" وأشباه ذلك فقالت: "أي بني إن الكتاب يخطئون""[173]

ضعيف كالذى سبقه .

جاء فى شرح علل الترمذى لابن رجب: " (وكان هشام صدوقاً تدخل أخباره في الصحاح، بلغني أن مالكاً نقم عليه حديثه لأهل العراق، قدم الكوفة ثلاث قدمات: قدمة كان يقول: حدثني أبي قال سمعت عائشة، وقدم الثانية فكان يقول: حدثني أبي عن عائشة، وقدم الثالثة فكان يقول: أبي عن عائشة يعني لا يذكر السماع، قال: وسمع منه بأخره وكيع وابن نمير ومحاضر) انتهى. وهذا مما يؤيد ما ذكره الإمام أحمد أن حديث أهل المدينة كمالك وغيره عنه أصح من حديث أهل العراق عنه"[174]

[172]فتح المغيث (372/1) دارالكتبالعلمية –لبنان– الطبعةالأولى، 1403هـ

[173]تاريخ المدينة (1014/3)

[174]شرح علل الترمذى لابن رجب (489/2)

وقال ابن أبى خيثمة: " ورأيت في كتاب علي بن المديني قال قال يحيى ابن سعيد: رأيت مالك بن أنس في النوم فسألته عن هشام بن عروة ؟ فقال: أما ما حدث به وهو عندنا فهو أي – كأنه صححه – وما حدث به بعدما خرج من عندنا – فكأنه يوهنه "[175]

فهشام بن عروة هو أحد الذين ضُعِفت أحاديثهم بمكان دون الآخر كما جاء فى شرح علل الترمذى لابن رجب[176]، فأحاديثه بالعراق مضطربة غير صحيحة ليست كأحاديثه بالمدينة.

وعلى بن مسهر كوفى[177] فالرواية لا تصح .

قال الحاكم فى مستدركه: "حدثنا أبو علي الحافظ أنبأ عبدان الأهوازي ثنا عمرو بن محمد الناقد ثنا محمد بن يوسف ثنا سفيان عن شعبة عن جعفر بن إياس عن مجاهد عن ابن عباس رضي الله عنهما: في قوله تعالى: {لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم حتى تستأنسوا } قال: أخطأ الكاتب حتى تستأذنوا

هذا حديث صحيح على شرط الشيخين و لم يخرجاه"

تعليق الذهبي قي التلخيص : على شرط البخاري ومسلم

ضعيف من رواية جعفر بن إياس وهو أبو بشر بن أبي وحشية ثقة وروايته عن مجاهد ضعيفة.

[175] شرح علل الترمذى لابن رجب (491/2)
[176] شرح علل الترمذى لابن رجب (604/2)
[177] سير أعلام النبلاء (484/8)

قال ابن أبى حاتم: " حدثنا محمد بن حمويه بن الحسن قال سمعت أبا طالب قال قال أحمد بن حنبل قال يحيى بن سعيد كان شعبة يضعف حديث أبي بشر عن مجاهد قال ما سمع منه شيئا"[178]

وقال ابن حجر: "جعفر بن إياس أبو بشر بن أبي وحشية بفتح الواو وسكون المهملة وكسر المعجمة وتثقيل التحتانية ثقة من أثبت الناس في سعيد بن جبير وضعفه شعبة في حبيب بن سالم وفي مجاهد"[179]

فالرواية ضعيفة علتها الإرسال، أما كونه على شرط البخارى ومسلم، فقد روى البخارى بهذا الإسناد عن أبى بشر بن أبى وحشية عن مجاهد فى المتابعات وليس فى الأصول .

قال النيسابورى: "وروى الأعمش عن إبراهيم قال: كان عبد الله يقرأها فأمضوا إلى ذكر الله ويقول: لو قرأها فاسعوا لسعيت حتى يسقط ردائي"[180]

رواية ضعيفة منقطعة السند، فإبراهيم هو أحد رجلين: إبراهيم بن يزيد التيمى، أو إبراهيم بن يزيد النخعى وكلاهما قد حدث عنه الأعمش .

فالأول وهو ابن يزيد التيمى لم يدرك ابن مسعود، قال العلائى: "إبراهيم بن يزيد التيمي أبو أسماء قال الدارقطني لم يسمع من عائشة ولا حفصة ولا أدرك زمانهما"[181]

---

[178] المراسيل لابن أبى حاتم (25/1)

[179] تقريب التهذيب (ص:139) دارالرشيد/ 1406 – 1986 / سوريا

[180] الكشف والبيان (311/9)

[181] جامع التحصيل فى أحكام المراسيل (141/1)

قلت: "لم يدرك زمن عائشة –رضى الله عنها– وهى متوفية فى عام 58 هـ فكيف بمن قبلها وهو ابن مسعود –رضى الله عنه– وتوفى 32 هـ ؟! فالرواية ضعيفة علتها إنقطاع السند"

أما الثانى وهو ابن يزيد النخعى فقال على بن المدينى: " لم يلق احدا من أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم"[182]

وقد ذكر ابن حجر فى طبقات المدلسين أنه كان يرسل عن ابن مسعود –رضى الله عنه– فقال: "إبراهيم بن يزيد النخعي الفقيه المشهور في التابعين من أهل الكوفة ذكر الحاكم أنه كان يدلس وقال أبو حاتم لم يلق أحدا من الصحابة الا عائشة رضي الله تعالى عنها ولم يسمع منها وكان يرسل كثيرا ولا سيما عن بن مسعود"[183]

وعلى ذلك فالرواية أيضاً ضعيفة علتها الإرسال –إنقطاع السند– فلا تنهض حجة .

وفى المصاحف لابن أبى داود حدثنا عبد الله قال حدثنا يونس بن حبيب، حدثنا أبو داود، حدثنا عمران بن داود القطان، عن قتادة، عن نصر بن عاصم الليثي، عن عبد الله بن فطيمة، عن يحيى بن يعمر قال: قال عثمان رضي الله عنه: " في القرآن لحن وستقيمه العرب بألسنتها"

رواية ضعيفة، فى سندها علتان:

[182]تحفة التحصيل فى ذكر رواة المراسيل (19/1)
[183]طبقات المدلسين (ص:28)

الأولى: قتادة وهو ابن دعامة السدوسى، قال الذهبى: " وهو حجة بالاجماع إذا بين السماع، فإنه مدلس معروف بذلك"[184]

وقد ذكره ابن حجر فى طبقات المدلسين الطبقة الثالثة [185]، وهى الطبقة التى قال فيها: "الثالثة مَنْ أَكثَرَ مِنَ التدليس فلم يحتج الائمة من أحاديثهم الا بما صرحوا فيه بالسماع ومنهم من رد حديثهم مطلقا ومنهم من قبلهم كأبي الزبير المكي "[186] وهو هنا لم يصرح بالسماع بل عنعن فحديثه مردود .

الثانية: يحيى بن يعمر لم يسمع من عثمان؛ قال الذهبى: " قال أبو داود لم يسمع من عائشة قلت –أى الذهبى-: فما الظن بالذين قبلها"[187]

وقال ابن أبى داود كذلك: حدثنا عبد الله قال حدثنا إسحاق بن إبراهيم، حدثنا أبو داود، حدثنا عمران بن داود القطان، عن قتادة، عن نصر بن عاصم الليثي، عن عبد الله بن فطيمة، عن يحيى بن يعمر قال: قال عثمان بن عفان رضي الله عنه: " إن في القرآن لحنا وستقيمه العرب بألسنتها"

رواية ضعيفة علتها كسابقتها: فيها قتادة وقد عنعن، ويحيى بن يعمر لم يسمع من عثمان .

وقال أيضاً: حدثنا عبد الله قال حدثنا أبو حاتم السجستاني، حدثنا عبيد بن عقيل، عن هارون، عن الزبير بن الخريت، عن عكرمة الطائي قال: " لما أتي عثمان رضي الله عنه

---

[184] سير أعلام النبلاء (271/8)
[185] طبقات المدلسين (ص: 43)
[186] المصدر السابق (ص: 13)
[187] تذكرة الحفاظ وذيوله (60/1)

بالمصحف رأي فيه شيئا من لحن؛ فقال: لو كان المملي من هذيل، والكاتب من ثقيف لم يوجد فيه هذا"

رواية ضعيفة علتها إنقطاع السند؛ فرواية عكرمة عن على –رضى الله عنه– مرسلة[188]، فما الظن بعثمان –رضى الله عنه– وهو قبله ؟

وقال الطبرى: "حدثنا أحمد بن يوسف قال: حدثنا القاسم قال: حدثنا يزيد، عن جرير بن حازم، عن الزبير بن الخِرِّيت –أو يعلى بن حكيم–، عن عكرمة، عن ابن عباس، أنه كان يقرؤها:"أَفَلَمْ يَتَبَيَّنِ الَّذِينَ آمَنُوا" ؛ قال: كتب الكاتب الأخرى وهو ناعسٌ"[189]

وفى سندها القاسم وهو أبو عبيد القاسم بن سلام، وأصل الحديث فى فضائله ليس به هذه الزيادة المنكرة (كتب الكاتب الأخرى وهو ناعسٌ) قال: "حدثنا يزيد، عن جرير بن حازم، عن يعلى بن حكيم، عن عكرمة، عن ابن عباس، أنه كان يقرأ (أفلم يتبين الذين آمنوا)"[190]

وعلى ذلك فهى قراءة شاذة نُسخت تلاوتها وهى ما سنتكلم عليه لاحقاً .

قال أبو عبيد القاسم بن سلام فى فضائله: " حدثنا هشيم، عن أبي بشر، عن سعيد بن جبير، عن ابن عباس، أنه كان يقرؤها (حتى تسلموا على أهلها وتستأذنوا) وقال: (وتستأنسوا) وهم من الكتاب"

[188] المراسيل لابن أبى حاتم (158/1)
[189] جامع البيان فى تأويل القرآن (452/16)
[190] فضائل القرآن للقاسم بن سلام حديث رقم (515)

الأثر ضعيف لا يحتج به، فيه هشيم بن بشير مشهور بالتدليس عن أبى بشر، قال إبراهيم بن عبد الله الهروي: "كان يدلس عن أبي بشر"[191]

وقد ذكره ابن حجر فى طبقات المدلسين فقال: " هشيم بن بشير الواسطي من أتباع التابعين مشهور بالتدليس مع ثقته وصفه النسائي وغيره بذلك ومن عجائبه في التدليس أن أصحابه قالوا له نريد أن لا تدلس لنا شيئا فواعدهم فلما أصبح أملى عليهم مجلسا يقول في أول كل حديث منه ثنا فلان وفلان عن فلان فلما فرغ قال هل دلست لكم اليوم شيئا قالوا لا قال فان كل شئ حدثتكم عن الاول سمعته وكل شئ حدثتكم عن الثاني فلم اسمعه منه قلت فهذا ينبغي أن يسمي تدليس العطف"[192]

وهو فى الطبقة الثالثة التى قال فيها: "مَنْ أَكْثَرَ مِنَ التدليس فلم يحتج الائمة من أحاديثهم الا بما صرحوا فيه بالسماع ومنهم من رد حديثهم مطلقا ومنهم من قبلهم كأبي الزبير المكي"[193]

قال أبو عبيد القاسم بن سلام فى فضائله: " حدثنا هشيم، أخبرنا مغيرة، عن إبراهيم، عن خرشة بن الحر، أن عمر بن الخطاب، رأى معه لوحا مكتوبا فيه إذا نودي للصلاة من يوم الجمعة فاسعوا إلى ذكر الله فقال: من أقرأك أو من أمل عليك هذا ؟ فقال: أبي بن كعب، فقال: إن أبيا كان أقرأنا للمنسوخ . اقرأها (فامضوا إلى ذكر الله)"

الأثر ضعيف لا يحتج به، فيه مغيرة بن المقسم وقد أكثر من التدليس لاسيما عن إبراهيم، ولا يُقبل حديثه عن إبراهيم إلا ما صرح فيه بالتحديث، وضعف أحمد بن حنبل حديثه عن

[191] جامع التحصيل فى أحكام المراسيل (294/1)
[192] طبقات المدلسين (ص:47)
[193] طبقات المدلسين (ص:13)

إبراهيم، وقد ذكره ابن حجر في الطبقة الثالثة من طبقات المدلسين التي قال فيها: " مَنْ أَكْثَرَ مِنَ التدليس فلم يحتج الائمة من أحاديثهم الا بما صرحوا فيه بالسماع ومنهم من رد حديثهم مطلقا ومنهم من قبلهم كأبي الزبير المكي "[194] وهو هنا لم يصرح بالسماع بل عنعن فلا يُقبل حديثه .

وقال العلائي: "مغيرة بن مقسم الضبي قال ابن فضيل كان يدلس فلا نكتب إلا ما قال ثنا إبراهيم وقال أحمد بن حنبل عامة حديثه عن إبراهيم مدخول إنما سمعه من حماد ومن يزيد بن الوليد والحارث العكلي وجعل أحمد يضعف حديثه عن إبراهيم يعني النخعي"[195]

قال أبو عبيد القاسم بن سلام في فضائله: " حدثنا خالد بن عمرو، عن ابي جعفر الرازي، عن الربيع بن أنس، عن ابي العالية، قال: هي في قراءة أبي بن كعب: (مثل نور من آمن بالله) أو قال: (مثل من آمن به)"[196]

فيه خالد بن عمرو، قال أحمد بن حنبل: " ليس بثقة وهو بن عم عبد العزيز بن أبان يروي أحاديث بواطيل"[197] وقال أبو زرعة: "واهي الحديث"[198] وقال البخارى: "خالد بن عمرو، عن شيبان وهشام الدستوائى، روى عنه القاسم بن سلام أبو عبيد، يعد في الكوفيين، منكر الحديث"[199]

---

[194] طبقات المدلسين (ص:13)

[195] جامع التحصيل فى أحكام المراسيل (110/1)

[196] فضائل القرآن (130/2)

[197] العلل ومعرفة الرجال (254/3)

[198] سؤالات البرذعى (434/2)

[199] التاريخ الكبير (164/3)

وأمثال هذه الرواية لا تستأهل الرد، إذ أن تلكم القراءات هي من الشاذ الذى لم يُكتب بالمصحف وسنُبين سببه في حينه، لكن فرق بين أن يقول هي في قراءة أبي كذا وبين أن يقول كانت كذا أو كان يقرؤها كذا، فالأولى تُشعر وكأن هذه القراءة لازالت مستمرة ولم تُنسخ وهذا باطل ولما كان باطلاً عُلِم أن مثل تلك الرواية وأشباهها من الضعيف، وقد بينا سبب ضعف هذه الرواية، أما الثانية فلا إشكال فيها فمحمول على أنها كانت في قراءته كذا ومن ثم نُسِخت تلك القراءة وبقت الآخرى .

وأخرج كذلك أبو عبيد في الفضائل حدثني ابن أبي مريم، عن ابن لهيعة، عن أبي الأسود، عن عروة بن الزبير، عن عائشة، قالت :"كانت سورة الأحزاب تقرأ في زمان النبي صلى الله عليه وسلم مائتي آية، فلما كتب عثمان المصاحف لم يقدر منها إلا على ما هو الآن"

رواية ضعيفة في سندها ابن لهيعة وهو مدلس ذكره ابن حجر في الطبقة الخامسة[200]، وهي الطبقة التي قال فيها: " من ضعف بأمر آخر سوى التدليس فحديثهم مردود ولو صرحوا بالسماع الا أن يوثق من كان ضعفه يسيرا كابن لهيعة"[201]

وابن لهيعة هنا لم يُصرح بالسماع بل عنعن، كما أن العمل على تضعيف حديثه؛ ففي سؤالات السلمي للدارقطني قال: "وسألته عن عبد اللهِ بن لهيعة، فقال: يضعف حديثه"[202]

وذكره ابن الجوزي في الضعفاء والمتروكين[203] وكذلك النسائي[204]

[200] طبقات المدلسين (ص:54)
[201] المصدر السابق (ص:14)
[202] سؤالات السلمي للدارقطني (ص:15) رقم 203
[203] الضعفاء والمتروكين لابن الجوزي (136/2)
[204] الضعفاء والمتروكين للنسائي (203/1)

وأخرج كذلك أبو عبيد في الفضائل حدثنا حجاج عن ابن جريج أخبرني ابن أبي حميد عن حميدة بنت أبي يونس قالت: "قرأ علي أبي وهو ابن ثمانين سنة في مصحف عائشة إن الله وملائكته يصلون على النبي يأيها الذين آمنوا صلوا عليه وسلموا تسليما وعلى الذين يصلون الصفوف الأول قالت قبل أن يغير عثمان المصاحف"

فيه ابن أبى حميد محمد بن أبي حميد واسمه ابراهيم الانصاري الزرقي أبو إبراهيم المدني يلقب حماد، قال ابن حجر: " قال عبدالله بن أحمد عن أبيه أحاديثه مناكير وقال الدوري عن ابن معين ضعيف ليس حديثه بشئ وقال الجوزجاني واهي الحديث ضعيف وقال البخاري منكر الحديث وقال النسائي ليس بثقة وقال أبو زرعة ضعيف الحديث وقال أبو حاتم كان رجلا ضريرا وهو منكر الحديث ضعيف الحديث"[205]

[205] تهذيب التهذيب (116/9)

الشبهة السادسة :-

طلب أبى بكر من عمر وزيد أن يثبتوا فى القرآن ما يشهد عليه شاهدان، فهل يُعنى هذا أن أبا بكر وعمر وزيد لم يحفظوا القرآن ؟ وهل يعنى إمكانية أن يُضاف فى القرآن شيئاً إذا جيء بشاهدين أو يُحذف منه لو لم يشهد شاهدان ؟

وجواب ذلك أنه قد جاء عن عروة بن الزبير قال:"لَمَّا استحرَّ القتل بالقراء يومئذٍ، فَرِق أبو بكرٍ على القرآن أن يضيعَ، فقال لعمر بن الخطاب ولزيد بن ثابت:اقعدا على باب المسجد، فمن جاءكما بشاهدين على شيء من كتاب الله فاكتباه"[206]

فهذا كان منهجهم –رضى الله عنهم– فى جمع القرآن فى زمن الخليفة الأول، ولكن هذا السؤال غير منطقى إطلاقاً، فزيد بن ثابت –رضى الله عنه– كما مر بك كان ممن جمعوا القرآن الكريم على عهد النبى –صلى الله عليه وسلم– فلو كُلِفَ أن يكتب هو وحده مصحفاً يجمع فيه القرآن لقام بذلك دون حاجة إلى معاونة.

والآن لنعكس السؤال: ماذا لو جمع زيد –رضى الله عنه– القرآن وحده مكتوباً دون إطلاع وإشراف ومعاونة من باقى الأصحاب –رضوان الله عليهم– ؟ وقتها سيُفتح الباب أمام هؤلاء للقولبأن القرآن ليس بمتواتر بل هو آحاد، ناهيك عن التشكيك فى جمع زيد بن ثابت –رضى الله عنه– طالما كان وحده والسؤال عن كيفية إطمئناننا نحن المسلمين لهذا الجمع !

[206] فتح الباري (630/8) قال ابن حجر : رجاله ثقات مع إنقطاعه

فالسؤال الآن: هل كان يصح أن يقوم صحابى واحد بجمع القرآن الكريم وحده من بعد ما تبين لك ما قد يترتب على ذلك عند المشككين ؟ قطعاً لا، إذاً الشبهة الأولى لا وجود لها الآن، فما هو إلا تدبير من حكيم عليم خبير كى يكون هذا المجموع متواتراً مُجمعاً عليه من كل الصحابة فلا يطعن طاعن فى تواتره وإجماع الأصحاب عليه.

وبعد إستقراء الأدلة والروايات يصير الجمع هكذا، صحابى يُحضر صحيفة مكتوب فيها شيئاً من القرآن، والشاهدان يشهدان أن هذا مكتوب بين يدى النبى –صلى الله عليه وسلم– وزيد بن ثابت حافظ للقرآن الكريم وهو من كتاب الوحى أصلاً، فهذه هى الشهادة على أن هذا المكتوب قد كُتِبَ بين يدى النبى –صلى الله عليه وسلم– هذه شهادة على المكتوب لكنلا يُعنى هذا أن قرآنية هذا المكتوب قد ثبتت بشهادة هؤلاء فحسب، فينبغى التميز بين الشهادة على المكتوب وبين حفظ الصحابة لهذا المكتوب.

فقد جاء عن عمر –رضى الله عنه– أنه نادى فى الناس :"من كان تلقى من رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئاً من القرآن فليأتنا به "[207] وهذا شامل لمن حفظ ولمن كتب والحفاظ أكثر قطعاً كما مر بك، فالشهادة إذاً على الكتابة لا على الحفظ إذ حفاظه كُثر جداً.

ورغم ضعف هذا الأثر [208] إلا أن قول زيد:" فتتبعت القرآن أجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال"[209] يشهد بأن الواقع فى الأمر كذلك؛ كونه قد تتبع القرآن من

[207] المصاحف لابن أبى داود (113/1)الفاروقالحديثة – مصر / القاهرة

[208] ضعفه عبد العزيز بن محمد بن عبد المحسن فى تحقيقه محض الصواب في فضائل أمير المؤمنين عمر بن الخطاب (540/2) /عمادة البحث العلمي بالجامعة الإسلامية، المدينة النبوية، المملكة العربية السعودية الطبعة : الأولى، 1420هـ/2000 م / قال : " وإسناده ضعيف لانقطاعه، يحيى بن عبد الرحمن لم يدرك عمر، وفي إسناده محمّد بن عمران بن علقمة صدوق له أوهام. (التقريب رقم: 6188)، وابن الجوزي: مناقب ص 126، 127. "

[209] سبق ذكره من صحيح البخارى

صدور الرجال أيضاً، وإنما كانت الشهادة على المكتوب بشاهدين بعد حفظ الصدور، فلو كانت الشهادة على المحفوظ فى الصدور لوجدوا الكثير من الصحابة كما مر بك.

لهذا قال ابن حجر: "وكان غرضهم أن لا يكتب إلا من عين ما كتب بين يدي النبي صلى الله عليه وسلم لا من مجرد الحفظ"[210]

إذاً الأصل هو حفظ الصدور، وحفاظ القرآن الكريم من الصحابة كُثر جداً كما مر بك بلغوا مبلغ التواتر، ثم بعد ذلك حفظ الكتابة فيُكتب ذلك المحفوظ فى الصدور مما قد كُتب بين يدى النبى –صلى الله عليه وسلم– بعد أن يشهد شاهدان أن هذا المكتوب قد كُتِبَ بين يدى النبى –صلى الله عليه وسلم– مبالغة فى الإحتياط ليس إلا.

---

[210]فتح البارى (15/9)

الشبهة السابعة:–

قول زيد بن ثابت:"فتتبعت حتى وجدت آخر سورة التوبة آيتين مع أبي خزيمة الأنصاري لم أجدهما مع أحد غيره{لقد جاءكم رسول من أنفسكم عزيز عليه ما عنتم}إلى آخرة"[211]

يُعنى أن تلك الآية آحاد وليست متواترة، وإن قلتم شهادته بشهادة رجلين فأين دليل هذا الإدعاء من زيد ؟

وجواب ذلك ما يلى، وهو أن تراجع جواب ما سبق؛ فالمقصود هنا أنه لم يجدها مكتوبة مع أحد سواه، لأن الأصل وهو حفظ الصدور موجود مع جمع غفير من الصحابة، وإنما أرادوا أن يجمعوا بين حفظ الصدور وحفظ الكتابة، بدليل علم زيد بها.

قال الزرقاني:"ومعنى قول زيد: حتى وجدت من سورة التوبة آيتين لم أجدهما عند غيره أنه لم يجد الآيتين اللتين هما ختام سورة التوبة مكتوبتين عند أحد إلا عند أبي خزيمة " وقال:"ويدل على أن هذا هو المعنى الذي أراده زيد بعبارته تلك قول زيد نفسه فقدت آية من سورة الأحزاب الخ فإن تعبيره بلفظ فقدت يشعر بأنه كان يحفظ هذه الآية وأنها كانت معروفة له غير أنه فقد مكتوبها فلم يجده إلا مع خزيمة وإلا فمن الذي أنبأ زيدا أنه فقد آية؟"[212]

ولما جاء خزيمة بالآيتين قال زيد:"أكتبوها فإن رسول الله جعل شهادته بشهادة رجلين"

[211] صحيح البخارى (4605)

[212] مناهل العرفان فى علوم القرآن (285/1)

وبيان ذلك ما وقع فى قصة الأعرابى مع النبى –صلى الله عليه وسلم– ما ذكره ابن حجر بسنده قال:"إنه –أى خزيمة– مر على النبي صلى الله عليه وسلم، وقد اشترى فرسا من أعرابي فجحده الأعرابي البيع، فقال:لم أبعك، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : قد بعتني فمر عليهم خزيمة بن ثابت فسمع قولهما، فقال:أنا أشهد أنك بعت، فقال له النبي صلى الله عليه وسلم:وما علمك بذلك ولم تشهدنا ؟ قال:شهدنا على ما هو أعظم من ذلك[213]، فأجاز النبي صلى الله عليه وسلم شهادته بشهادة رجلين حتى مات خزيمة"[214]

حتى إن الأوس لتفخر بذلك فهو أمر معلوم لا يُنكر، فعن أنس بن مالك قال: " افتخر الحيان من الأوس والخزرج فقال الأوس:منا غسيل الملائكة حنظلة ابن الراهب ومنا من اهتز له عرش الرحمن ومنا من حمته الدبر عاصم بن ثابت بن الافلح ومنا من أجيزت شهادته بشهادة رجلين خزيمة بن ثابت"[215]

وكما ذُكِرَ مسبقاً هو شهادة على المكتوب وإلا فهو محفوظ مع جمع غفير من الصحابة وإنما أرادوا الجمع بين حفظ الصدور وحفظ الكتابة، وقد وقع نفس الأمر فى نسخ عثمان للمصاحف ولكن فُقِدت آيتين من سورة الأحزاب –أى كتابةً– لا من التوبة.

وقال القرطبى جامعاً الرد على القصتين:"أن خزيمة رضي الله عنه لما جاء بهما تذكرهما كثير من الصحابة وقد كان زيد يعرفهما ولذلك قال: فقدت آيتين من آخر سورة التوبة ولو لم يعرفهما لم يدر هل فقد شيئا أولا فالآية إنما ثبتت بالإجماع لا بخزيمة وحده. جواب ثان إنما ثبتت بشهادة خزيمة وحده لقيام الدليل على صحتها في صفة النبي صلى الله عليه وسلم فهي قرينة تغني عن طلب شاهد آخر بخلاف آية الأحزاب فإن تلك ثبتت بشهادة

[213]يعنى بذلك الوحى يأتى النبى –صلى الله عليه وسلم– من السماء
[214]المطالب العالية (324/11) رقم (4119)
[215]السلسلة الصحيحة (645/1) رقم (326) وحسنه الألبانى

زيد وأبي خزيمة لسماعهما إياها من النبي صلى الله عليه وسلم قال: معناه المهلب وذكر أن خزيمة غير أبي خزيمة وأن أبا خزيمة الذي وجدت معه آية التوبة معروف من الأنصار وقد عرف أنس وقال نحن ورثناه والتي في الأحزاب وجدت مع خزيمة بن ثابت فلا تعارض والقصة غير القصة لا إشكال فيها ولا التباس"[216]

وقد ذكرت هذه هنا كذلك منعاً للتكرار .

وقد جاء فى آثر: "أن الحارث بن خزيمة جاء بالآيتين آخر سورة براءة: {لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُمْ بِالْمُؤْمِنِينَ رَءُوفٌ رَحِيمٌ} إلى قوله تعالى: {رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ} إلى عمر رضي الله عنه فقال: من معك على هذا؟ قال: لا أدري والله إلا أني أشهد أني سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم ووعيتها وحفظتها، فقال عم: وأنا أشهد لسمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، ووعيتها، وحفظتها، ثم قال: لو كانت ثلاث آيات لجعلتها سورة على حدة، فانظروا من القرآن فألحقوها فيها، فألحقتها في آخر براءة"

وهذه الرواية تحمل شبهة آخرى، وهى أن تأليف السور فى القرآن كان برأى من الصحابة، فبعض الآيات تُجمع وتُكتب فى سورة وبعضها تُجمع وتُكتب سورة هكذا بالتشهى، لكن هذا الآثر ضعيف فلا حجة فيه .

قال عبد السلام بن محسن آل عيسى: " رواه أحمد / المسند **199/1**، ابن أبي داود / المصاحف ص **38**، وفي إسناديهما محمد بن إسحاق مدلس من الثالثة ولم يصرح

---

[216] الجامع لأحكام القرآن (56/1)

بالسماع، وهو منقطع من رواية عباد بن عبد الله بن الزبير عن عمر رضي الله عنه وهو ثقة من الثالثة. فالأثر ضعيف."[217]

[217] دراسة نقدية في المرويات الواردة في شخصية عمر بن الخطاب وسياسته الإدارية رضي الله عنه (801/2)

الشبهة الثامنة:-

لماذا إختار أبو بكر زيد بن ثابت لجمع القرآن ولم يختر عبد الله بن مسعود، رغم قول النبي –صلى الله عليه وسلم– :"خذوا القرآن من أربعة من عبد الله بن مسعود وسالم ومعاذ بن جبل وأبي بن كعب"[218]

وجواب ذلك أن هذا لا يعدو كونه تساؤل سخيف لا شبهة بمعنى أمر يستحق البحث والتنقيب، فأياً كان جامع القرآن من الصحابة فهو رجل عدل يقوم بهذا الأمر، فهل بلغ السخف هذه الدرجة ؟! وجواب ذلك ما قاله ابن حجر في الفتح:" قوله:"خذوا القرآنعن أربعة" أي تعلموه منهم" إلى أن قال:"فالظاهر أنه أمر بالأخذ عنهم في الوقت الذي صدر فيه ذلك القول، ولا يلزم من ذلك أن لا يكون أحد في ذلك الوقت شاركهم في حفظ القرآن، بل كان الذين يحفظون مثل الذين حفظوه وأزيد منهم جماعة من الصحابة[219]

فهذا الأمر من النبى –صلى الله عليه وسلم– ليس متعلقاً بجمع القرآن أو نسخه أو ما إلى ذلك، بل متعلقاً بتعليمه وحفظه لا أكثر.

ولأن زيد بن ثابت كان من كتاب الوحى، و مهمته فى الجمع متعلقة بالكتابة، جاء عن أبى بكر أن قال لزيد :"إنك رجل شاب عاقل ولا نتهمك كنت تكتب الوحي لرسول الله صلى الله عليه وسلم" وعن زيد بن ثابت قال :" كنا عند رسول الله صلى الله عليه وسلم نؤلف القرآن من الرقاع" وعنه قال:"دخل نفر على فقالوا حدثنا ببعض حديث رسول الله صلى الله

---

[218] صحيح البخارى (4165)
[219] فتح البارى (48/9)

عليه وسلم فقال وما أحدثكم كنت جاره فكان إذا نزل الوحي أرسل إلي فكتبت الوحي "
وكلها آثار مرت بك قبلاً.

قال ابن حجر: "كان الذي نسخ ذلك في عهد أبى بكر هو زيد بن ثابت كما تقدم لكونه كان كاتب الوحي فكانت له في ذلك اولية ليست لغيره"[220]

فلم يكن المقصود أن زيد بن ثابت هو من سيجمع القرآن وحده من حفظه، فأين التواتر فى ذاك ؟ بل مر بنا أنه كان يتتبع القرآن يجمعه من الرقاع والأكتاف والعسب وصدور الرجال، رغم حفظه هو للقرآن.

[220] فتح البارى (19/9)

الشبهة التاسعة:-

إحراق عثمان –رضى الله عنه- للمصاحف الآخرى خلاف المصحف العثمانى وقد جاء فى الرواية الصحيحة :"وأمر بما سواه من القرآن في كل صحيفة أو مصحف أن يحرق"[221]

وجواب ذلك أنه قد صح أن الصحابة وتابعيهم كانوا يُلحقوا فى المصاحف ما هو من التفسير، فخُشى من ذلك أن يلتبس على من يأتى بعدهم، فأمر عثمان بإحراقها لذلك، قال ابن الجزرى:"نعم كانوا ربما يدخلون التفسير في القراءة إيضاحاً وبياناً لأنهم محققون لما تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم قرآناً فهم آمنون من الالتباس وربما كان بعضهم يكتبه معه لكن ابن مسعود رضي الله عنه كان يكره ذلك ويمنع منه فروى مسروق عنه أنه كان يكره التفسير في القرآن وروى غيره عنه "جردوا القرآن ولا تلبسوا به ما ليس منه"[222]

فقول ابن مسعود –رضى الله عنه-:"جردوا القرآن ولا تلبسوا به ما ليس منه"[223] فيه الدليل على أن الصحابة –رضوان الله عليهم- كانوا يُلحقون بمصاحفهم ما ليس من القرآن من تفاسير وإيضاحات وخلافه؛ وإلا فلا معنى لقول ابن مسعود –رضى الله عنه- إن لم يكن الأمر كذلك، هذه واحدة، أما الثانية فهى أن الأصل هو حفظ الصدور، فلو أحرق عثمان –رضى الله عنه- كل تلك المصاحف فهو لن يحرق ما فى صدور الحفظة، وقد نقل الحفظة القرآن من طبقة إلى طبقة جيل بعد جيل تماماً كما هو فى المصحف العثمانى، فهو دليل تلقيهم ما فى المصحف العثمانى بالقبول والإجماع، ورضاهم عن حرق عثمان –رضى الله عنه- للمصاحف الآخرى حتى لا يلتبس على من يأتى بعدهم ما ألحقوه فى مصاحفهم من تفاسير ودعاء .

---

[221] سبق تخريجه
[222] النشر فى القراءات العشر (44/1)
[223] مصنف ابن أبي شيبة (150/6)(30252)

وقد تضافرت الآثار على رضاء الصحابة عما فعل عثمان –رضى الله عنه– فعن مصعب بن سعد بن أبي وقاص قال:" أدركت الناس متوافرين حين حرق عثمان المصاحف فأعجبهم ذلك أو قال لم ينكر ذلك منهم أحد"[224]

وقال ابن حجر:"وقد جاء عن عثمان أنه إما فعل ذلك بعد أن استشار الصحابة فأخرج بن أبي داود بإسناد صحيح من طريق سويد بن غفلة قال: قال علي: لا تقولوا في عثمان إلا خيرا فوالله ما فعل الذي فعل في المصاحف إلا عن ملأ منا"[225]

[224] فضائل القرآن لابن كثير (ص:78) قال اسناده صحيح
[225] فتح البارى (18/9)

الشبهة العاشرة:-

يدعى الزائغون أن عبد الله بن مسعود لم يوافق على ما فعل عثمان بالمصاحف مستندين فى ذلك إلى قوله:" {ومن يغلل يأت بما غل يوم القيامة}ثم قال على قراءة من تأمروني أن أقرأ فلقد قرأت على رسول الله صلى الله عليه وسلم بضعا وسبعين سورة ولقد علم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم أني أعلمهم بكتاب الله ولو أعلم أن أحدا أعلم مني لرحلت إليه قال شقيق فجلست في حلق أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم فما سمعت أحدا يرد ذلك عليه ولا يعيبه"[226]

وأمر المسلمين أن يغلوا مصاحفهم ولا يحرقوها كما طلب عثمان، وبذلك فمصاحف عثمان ليست مجمع عليها.

وجواب ذلك أولاً هو أن نسأل نحن أيضاً، لماذا إعترض عبد الله بن مسعود –رضى الله عنه– على نسخ زيد المصاحف زمن عثمان –رضى الله عنه– حيث قال: " يا معشر المسلمين أعزل عن نسخ كتابة المصحف ويتولاها رجل والله لقد أسلمت وإنه لفي صلب رجل كافر يريد زيد بن ثابت ... يا أهل العراق اكتموا المصاحف التي عندكم وغلوها "[227] ولم يعترض عليه فى جمع القرآن زمن أبى بكر الصديق –رضى الله عنه– ؟!

عدم إعتراض ابن مسعود على تولى زيد جمع القرآن فى عهد أبى بكر، ثم إعتراضه عليه فى نسخ المصاحف فى عهد عثمان، لفيه الدلالة على أن ابن مسعود لم يكن ليعترض على المجموع فى المصحف إذ أن ما إعتمد عليه عثمان فى نسخ المصاحف هو عينه ما جمعه

[226] صحيح مسلم (4502)
[227] صحيح وضعيف سنن الترمذى (104/7) (3104) قال الألبانى : صحيح

أبو بكر الصديق وهو ذاته ما كان مكتوباً بين يدى رسول الله –صلى الله عليه و سلم– كما مر بنا، وإنما إعتراض ابن مسعود على زيد بن ثابت خشية منه أن يُمنع من قراءة حرفه، فهذا ما ظنه ابن مسعود، و يدل عليه قوله:"على قراءة من تأمروني أن أقرأ"[228]

ثانياً قال الذهبى فى الطبقة الأولى من القراء:"على بن أبى طالب:قال أبو بكر بن عياش عن عاصم قال ما أقرأني أحد حرفا إلا أبو عبد الرحمن السلمي وكان قد قرأ على علي رضي الله عنه فكنت أرجع من عنده فأعرض على زر وكان زر قد قرأ على ابن مسعود فقلت لعاصم لقد استوثقت"[229]

يُلاحَظ من هذه الطبقة عند مراجعتها [230] أمور غاية فى الأهمية وهى:أن كلاً من أبى عبد الرحمن السلمى، وأبى هريرة، وابن عباس، قد أخذوا عن أكثر من واحد من الصحابة الكبار، ويلاحظ أن أبى عبد الرحمن السلمى أخذ عن على وزيد وابن مسعود، وهذا يُضعف ما لهج به المبطلون من كون مصاحف الصحابة تختلف عن بعضها البعض أو تختلف عن المصحف العثمانى فى شيء، فما هو إلا إختلاف القراءة تبعاً للأحرف السبعة .

ويُلاحَظ كذلك أن عاصم كان يأخذ عن أبى عبد الرحمن السلمى فى قراءته عن على، ثم يعرض على زر بن حبيش فى قراءته عن عبدالله بن مسعود فاستوثق، وهذا من شأنه الرد على الطاعنين المدعيين بأن مصحف عبدالله بن مسعود يختلف عن مصاحف الصحابة أو

228 سبق تخريجه
229 معرفة القراء الكبار (27/1)
230 وليس هنا متسع لذكرها

عن المصحف العثمانى، فما هو إلا إختلاف القراءة كما سبق وأشرنا لذا لما إعترض ابن مسعود قال على قراءة من تأمرونى أن أقرأ .

وقد علل ابن حجر إختيار زيد دونما عبد الله فقال :" والعذر لعثمان في ذلك أنه فعله بالمدينة وعبد الله بالكوفة ولم يؤخر ما عزم عليه من ذلك إلى أن يرسل إليه ويحضر وأيضا فان عثمان إنما أراد نسخ الصحف التي كانت جمعت في عهد أبى بكر وان يجعلها مصحفا واحدا وكان الذي نسخ ذلك في عهد أبى بكر هو زيد بن ثابت كما تقدم لكونه كان كاتب الوحي فكانت له في ذلك اولية ليست لغيره"[231]

[231] فتح البارى (19/9)

الفصل الثالث :

بقاء الأحرف السبعة

والفرق بين القراءة الصحيحة والشاذة

فى بداية هذا الباب ننبه إلى أنه لا يصح أصلاً السؤال عن بقاء حرف أو حذف ستة أحرف وما إلى ذلك؛ فتلك الأحرف السبعة ليست كتب سبعة كما تخيله من زعم أنها ألفاظ سبعة فى الكلمة الواحدة، بل هى الطرق المختلفة المؤدية إلى القراءات كما سبق وأشرنا، والأحرف السبعة ذاتها التى تؤدى إلى القراءات باقية كما هى إلى الآن وسنمثل لذلك قريباً فترقبه، أما القراءات نفسها التى تتغير على تلك الأحرف فمنها ما نُسخ تلاوته، لكن لنجارى من قال بذلك وكأننا لم نعرف معناً للأحرف السبعة؛ فحتى وإن لم نحدد معناها فالقرائن تشهد بأنها كلها فى المصحف العثمانى .

ففيما إدعى بعض الفقهاء والمفسرون بقاء حرف واحد من الأحرف السبعة فى المصحف العثمانى والإكتفاء به وحذف ما سواه، كان أكثر قول أهل القراءات أن الأحرف السبعة لا تزال باقية فى المصحف العثمانى مستمرة فى الأمة.

قال أبو عمرو الدانى:" وأن أميرالمؤمنين عثمان رضي الله عنه ومن بالحضرة من جميع الصحابة قد أثبتوا جميع تلك الأحرف في المصاحف وأخبروا بصحتها وأعلموا بصوابها وخيروا الناس فيها كما كان صنع رسول الله صلى الله عليه وسلم وأن من هذه الأحرف حرف أبي بن كعب وحرف عبد الله بن مسعود وحرف زيد بن ثابت وأن عثمان رحمه الله تعالى والجماعة إنما طرحوا حروفاً وقراءات باطلة غير معروفة ولا ثابتة بل منقولة عن الرسول صلى الله عليه وسلم نقل الأحاديث التي لا يجوز إثبات قرآن وقراءات بها"[232]

---

[232] الأحرف السبعة (60/1)

فالأمر بين التعارض والترجيح، وليس كما يتوهم الزائغون بكثرة إيراد أقوال من قال أن المصحف العثمانى على حرف واحد وحذف ستة يقوم لهم الدليل على ذلك وتقع الحجة علينا، فإن جاءوا بتلك الأقوال أتينا نحن بضددها، فليس الأمر بتلك السخافة التى ينتهجونها، ولكن يجب تحرى الدليل مع هؤلاء أم هؤلاء ؟!

والذى لابد أن يُعلم فى هذا المقام أولاً أن العرضة الأخيرة التى عرضت للنبى –صلى الله عليه وسلم– كانت بالأحرف جميعاً، ما نُسِخَ منها شيء كما سنقدم الأدلة على ذلك؛ وهذا من شأنه أن يجعل القول بنسخ ستة أحرف والإبقاء على حرف أو أنها كانت رخصة ورُفِعت قولاً باطلا، إذ ما كان هناك حاجة أن تكون العرضة الأخيرة –لو كان الأمر كما زعموا– بالأحرف جميعها، وأدلة ذلك مايلى .

عن أبى هريرة –رضى الله عنه– قال: "كان النبى –صلى الله عليه وسلم– يعتكف فى كل رمضان عشرة أيام، فلما كان العام الذى قبض فيه اعتكف عشرين يوماً"[233]

قال ابن حجر: "وقيل السبب فيه أن جبريل كان يعارضه بالقرآن في كل رمضان مرة فلما كان العام الذي قبض فيه عارضه به مرتين فلذلك أعتكف قدر ما كان يعتكف مرتين"[234]

[233] صحيح البخارى (2044)
[234] فتح البارى (285/4)

والسبب الذى ذكره ابن حجر يؤيده فى ذلك ما قد رواه البخارى عن النبى –صلى الله عليه وسلم– قال: "إن جبريل كان يعارضنى القرآن كل سنة مرة، وإنه عارضنى العام مرتين، ولا أراه إلا حضر أجلي"[235]

ثم إن هناك روايات تذكر أن قراءة ابن مسعود هى الأخيرة مثل ما جاء عن ابن عباس – رضى الله عنه– قال: " أي القراءتين تعدون أول قالوا قراءة عبد الله قال لا بل هي الآخرة كان يعرض القرآن على رسول الله صلى الله عليه و سلم في كل عام مرة فلما كان العام الذي قبض فيه عرض عليه مرتين فشهد عبد الله فعلم ما نسخ منه وما بدل"[236]

وآخرى أن قراءة زيد هى الأخيرة مثل ما جاء عن أبى عبد الرحمن السلمى –رضى الله عنه– قال: "قرأ زيد بن ثابت على رسول الله صلى الله عليه وسلم في العام الذي توفاه الله فيه مرتين، وإنما سميت هذه القراءة قراءة زيد بن ثابت، لأنه كتبها لرسول الله صلى الله عليه وسلم، وقرأها عليه، وشهد العرضة الأخيرة، وكان يقرئ الناس بها حتى مات"[237]

وإستشكل البعض هذه الآثار وتوهموا أنها متناقضة، فإما أن هذا من حضر وتلك قراءته، أو أن هذا من حضر وتلك قراءته، لكن ليس هذا بتناقض البتة؛ فكون من أخذ عن زيد يرى أن قراءته الأخيرة ومن أخذ عن ابن مسعوديرى أن قراءته هى الأخيرة وهكذا، فهذا دليل

[235] صحيح البخارى (3624)
[236] مسند أحمد (3422)تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده صحيح على شرط الشيخين
[237] شرح السنة للإمام البغوى (225/4)

على كون الكل قرأ على رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فى العرضة الأخيرة، وأن العرضة الأخيرة شملت الأحرف السبعة جميعاً.

وينبغي أن يُعلم أن العرضة بالقرآن ليست ساعة أو يوم أو ليلة، ولكن كما رأينا من الآثر السابق أنها كانت تمتد إلى أيام "فلما كان العام الذي قبض فيه اعتكف عشرين " فلا تناقض، بل هذه الآثار التى إستشكلها هؤلاء من جملة الأدلة على كون القرآن الكريم لم يسقط منه ولا حرف، بل وتؤكد المذهب الذى عليه العلماء فى تعريف الأحرف السبعة كما ذكرنا من كلام الرازى، فالمصحف واحد والكتابة واحدة والأحرف سبعة ، فلا مجال هنا الآن للإدعاء أن الأحرف السبعة نُسِخَ منها ست أو كانت رخصة ورفعت، إذ كانت العرضة الأخيرة بأحرف الصحابة جميعاً –كما ذكرنا سابقاً من كون قراءة ابن مسعود يرى أصحابها أنها الأخيرة وأن قراءة زيد يرى أصحابها نفس الأمر فيها– واستمرت القراءة بأحرف الصحابة بعد، وليس كما أُدعى من نسخ مصاحف عثمان على حرف زيد –رضى الله عنه– وحده.

قال الذهبى: "وقال إسماعيل بن عبد الملك كان سعيد بن جبير يؤمنا في رمضان فيقرأ ليلة بقراءة ابن مسعود وليلة بقراءة زيد "[238]؛ فدل ذلك على صحة ما قدمنا من كون أحرف الصحابة كلهم لم تزل باقية فى الأمة لم يمنعهم أحد من القراءة بها، وإلا فلا معنى لقول إسماعيل بن عبدالملك إن كان عثمان –رضى الله عنه– كما يطعن الزائغون قد جمع الأمة على حرف زيد ومنع أحرف ابن مسعود وغيره من الصحابة.

[238] معرفة القراء الكبار (69/1)

ولدينا فى هذا الأمر دليل آخر كذلك لا يمكن رده؛ فهو من فم عثمان –رضى الله عنه– ذاته فقد جاء فى صحيح البخارى عن ابن

أبي مليكة قال: "قال ابن الزبير قلت لعثمان هذه الآية التي في البقرة {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا إلى قوله غير إخراج} قد نسختها الأخرى فلم تكتبها قال تدعها يا ابن أخي لا أغير شيئا منه من مكانه"[239]

فهذا دليل على جمع عثمان –رضى الله عنه– أحرف الصحابة –رضوان الله عليهم– كلها فى المصاحف، فكما لم يُمنع أحد من قراءة حرفه فى عهد أبى بكر –ولم يرد لنا ولو أثر ضعيف بذلك– فإذاً كذلك هو الحال فى نسخ عثمان –رضى الله عنه– للمصاحف؛ لأنه كما قال –رضى الله عنه– لم يُغير منه شيئاً من مكانه، وإن كان المراء فى القرآن وتلكم القراءات كفر، فعن أبى جُهيم الأنصاري قال: " أن رجلين اختلفا في آية من القرآن، فقال هذا: تلقَّيتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم. وقال الآخر: تلقَّيتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم، فسألا رسولَ الله صلى الله عليه وسلم عنها، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم:إنّ القرآن أنزل على سبعة أحرف، فلا تمَارَوْا في القرآن، فإنَ المِراء فيه كفرٌ"[240]

فكيف هو الحال بمن يهمل من القرآن ستة أحرف يتركها تماماً ؟! لا يُتصور هذا فى حق الصحابة من الأصل مع معرفة ما كانوا عليه من الحرص .

[239]صحيح البخارى (4172)

[240]جامع البيان في تأويل القرآن (44/1) مؤسسة الرسالة الطبعة:الأولى،قال أحمد شاكر:نقله ابن كثير في الفضائل 64–65 عن المسند،وقال:وهذا إسناد صحيح

إذاً كل ما تقدم يُثبت بقاء الأحرف السبعة كما هى لم يحذف منها شيء، لكن دعونا نناقشفى نفس الأمر كذلك سبب إدعاء بعض الفقهاء والمفسرون بقاء حرف واحد من السبعة وحذف الستة الآخرى ؟

لا يخفى أن إدعاءهم بحذف ستة أحرف وبقاء حرف إنما يوحى بقولهم فى الأحرف السبعة وهو كونهامعانى سبعة فى الكلمة الواحدة، قال الحموى فيما ساق من أقوال عن الأحرف السبعة:"الثامن وهو قول الطبري قال مكي في التبيان تبديل كلمة في موضع كلمة يختلف الخط بينهما، ونقصان كلمة وزيادة أخرى، فمنع خط المصحف المجمع عليه ما زاد على حرف واحد لأن الاختلاف لا يقع إلا بتغير الخط في رأي العين"[241]

إذاً قد تكشَّفَ لنا سبب الإدعاء بأن المصحف العثمانى يحتوى على حرف واحد، وأن الصحابة قد إكتفوا بهذا الحرف وحذفوا الستة الآخرى وهو أن لما كان الخط العثمانى واحد فلا يُمكن أن تُبدل كلمة محل كملة أو تحذف كلمة وتُثبت فى ذات الوقت، فمنع الخط العثمانى إلا أن يُثبت فى المصحف حرف واحد، وهو ما دعى الحموى أن يقول: "الصواب أن القراءات السبع على حرف واحد من السبعة وهو الذي جمع عثمان رضي الله عنه المصحف عليه"[242]

وهذا فيما يسطع للرائى هو نتيجة لما سبق الإشارة إليه من ظنهم أن الأحرف السبعة إنما هى معانى سبعة فى الكلمة الواحدةوقد سبق نقض هذا القول فى الكلام على الأحرف

[241]أصول القراءات (1/27)

[242]أصول القراءات (1/24)

السبعة فارجع إليه في موضعه، ونقض هذا السبب إثبات لبقاء الأحرف السبعة فى الأمة ليومنا هذا .

وهذا السبب لا يصح مطلقاً؛ فللقراءات السبعة التى تحدث عنها الحموى وأرجعها لحرف واحد بها إختلافات فى الرسم أصلاً وهو ظاهر تعريف علم القراءات إذ يقول شهاب الدين الدمياطى فى تعريف علم القراءات:" علم القراءة علم يُعلم منه اتفاق الناقلين لكتاب الله تعالى واختلافهم في الحذف والإثبات والتحريك والتسكين والفصل والوصل وغير ذلك من هيئة النطق والإبدال وغيره من حيث السماع أو يقال علم بكيفية أداء كلمات القرآن واختلافها معزوا لناقله"[243]

فإن كانت القراءات فيما بينها إختلاف فى الحذف والإثبات والإبدال – مع علمنا أن كل هذا وحى لا يُنكر منه شيء – فكيف يُدعى بعد ذلك خلو المصحف العثمانى سوى من حرف لأنه لا يُمكن أن يحذف كلمة ويثبتها فى ذات الوقت رغم أنه يقول أن القراءات السبعة نتيجة حرف واحد، مع أن القراءات السبعة بها ما استشكله على بقاء الأحرف السبعة أصلاً ؟! فهذا يقودنا إلى الزعم بأن المصحف العثمانى إنما يحتوى على قراءة واحدة، وهذا لا يُتصور قطعاً ولا يدعيه أحد.

ثم إن هذا الإدعاء ينقضه كذلك ويؤكد بقاء الأحرف السبعة فى الأمة إلى هذا اليوم ما قد ثبت بالطرق والأسانيد الصحيحة من كون عثمان –رضى الله عنه– قد نسخ أكثر من مصحف، وهذه المصاحف بها إختلافات فيما بينها من حذف فى بعضها وإثبات ما هو

[243] منتهى الأماني والمسرات في علوم القراءات (1/6)

محذوف من تلك فى البعض الآخر، وتبديل كلمة من هذا بكلمة آخرى فى مصحف آخر، وإجماع الأمة أن هذا كله قرآن لا يُمارى فيه، فيُقرَأ بهذه أو بتلك.

قال الكردى[244]:"سبق الكلام على بيان عدد المصاحف التى أرسلها عثمان بن عفان رضى الله عنه إلى المدن والامصار وهذه المصاحف كلها تسمى المصاحف العثمانية وهى التى يجب اتباع رسمها وان اختلف رسم كل مصحف عن الاخر بالحذف والاثبات، فمن قال بالحذف مثلا في بعضها يدعى انه هو الموجود في المصحف العثماني ومن قال بالاثبات يدعى عكس ذلك مع اتفاق الطرفين على ان الموجود في المصحف العثماني هو الحق الثابت في نفس الامر باجماع الامة"[245]

فما إستشكله من إدعى بقاء حرف واحد وحذف الستة الآخرى مردود الآن، فالحذف والإثبات وكذا تبديل كلمة بآخرى وهكذا قد تم بالفعل لكن ليس فى نفس المصحف بل فى غيره .

وقد ذكر الكردى جملة من تلك الأمثلة فقال:"ذكر جملة من الامثلة التى اختلفت كتابتها ورسومها في المصاحف قوله تعالى "لئن انجانا" في سورة الانعام مكتوب في المصحف الكوفى بالالف وفي غيره بالتاء بعد الياء أي "انجيتنا"، وقوله تعالى "كانوا أشد منهم قوة" مكتوب "منكم" بالكاف في المصحف الشامي وبالهاء في غيره، وقوله تعالى "واذ نجياكم

---

[244]هو محمد طاهر بن عبد القادر بن محمود الكردى المكى الشافعى الخطاط، وُلِدَ عام 1321هـ بمكة المكرمة وتوفى 1400 هـ بجدة، له أكثر من أربعين مؤلف منها زهرة التفاسير وكذلك كتابات فى تاريخ القرآن الكريم، وإنما أثرت وضع شيء من ترجمته لوجود من تشابه اسمه باسمه –رحمه الله– فلا يختلط على القارىء .

[245]تاريخ القرآن الكريم (96/1)

من آل فرعون" هو هكذا في امام اهل العراق وفى امام اهل الشام واهل الحجاز "واذ نجاكم"،وقوله تعالى "وما عملت ايديهم" هكذا في بعضها وفي بعضها "وما عملته ايديهم"، وقوله تعالى "وجعل اليل سكنا" هكذا في بعضها وفي بعضها "وجاعل" اليل بالالف، وقوله تعالى "سارعوا إلى مغفرة من ربكم" بغير واو قبل السين وفي بعضها "وسارعوا" بالواو، وقوله تعالى"قل انما أدعوا ربى" هكذا في بعضها وفى بعضها "قال انما" بالالف، وقوله تعالى "والشمس والقمر حسبانا" في بعض المصاحف بحذف الالف من باء حسبانا هكذا "حسبنا"، وقوله تعالى "هروت ومروت" في بعض المصاحف باثبات الالف في الهاء والميم وفي بعهضا بحذفها منهما.وقوله تعالى "لومة لائم" في بعض المصاحف هكذا "لئم" بحذف ألفالمد.وقوله تعالى "فأحيكم ثم يميتكم" في بعضها "فاحياكم" بالالف وكلمة "ابراهيم" مرسومة في سورة البقرة بحذف الياء في المصحف الشامي والعراقى ومرسومة باثباتها في المصحف المكى والمدنى، وألف التثنية فد تحذف في بعض المصاحف وفي بعضها لا تحذف نحو قوله تعالى "إذ همت طائفتان" وقوله "كانا يأكلان الطعام" إلى غير ذلك وهذا حسبما ذكره أئمة القراءات المتقدمون ونقلوه بالسند المتصل عن الثقاة العدول الذين شاهدوا تلك المصاحف العثمانية."[246]

[246] تاريخ القرآن الكريم (1/98-99)

وقد إستشكل الكردى هذه الإختلافات بين المصاحف ما بين حذف وإثبات وتبديل، قال:"لا ندرى لم اختلفت رسوم تلك المصاحف التى كتبت بأمر عثمان رضى الله عنه وارسلت إلى المدن والامصار"[247]

والحق أنها إنما إختلفت ليُرسَل لكل قطر بمصحف يحتوى على قراءتهم التى تلقوها عن الصحابة الذين تلقوها من فى النبى –صلى الله عليه وسلم– إذ كما مر بك فى نسخه –رضى الله عنه– للمصاحف إنما كان ذلك بسبب إختلاف قراءات المسلمين ممن إجتمعوا من أقطار مختلفة وظن كل منهم أن زميله مخطىء، قال ابن الجزرى: "وقرأ كل أهل مصر بما في مصحفهم وتلقوا ما فيه عن الصحابة الذين تلقوه من في رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم قاموا بذلك مقام الصحابة الذين تلقوه عن النبي صلى الله عليه وسلم"[248]

وهكذا فقد بقت الأحرف السبعة فى المصاحف العثمانية لم يُحذف منها شىء قط، وهذا هو سر هذه الإختلافات بين تلك

المصاحف، وأهل كل قطر لهم قراءتهم التى قد تتفق أو تختلف مع قراءة أهل قطر آخر وهى كلها قرآن لا يُمارى فيه، وإلى يومنا هذا مازال من القراء من يجمع القراءات كلها الناتجة عن هذه الأحرف السبعة.

وهنا تبقت إشارة لطيفة وهى أن اللفظ الصحيح هو بقاء القراءات التى نُزِّلَ عليها القرآن الكريم كلها فى المصاحف العثمانية وبقاءها فى الأمة إلى يومنا هذا إلا ما نُسِخت تلاوته كما سبق وأشرنا؛ إذ لفظ بقاء الأحرف السبعة أو السؤال عن بقاء الأحرف السبعة من

---

[247] تاريخ القرآن الكريم (99/1)
[248] النشر فى القراءات العشر (16/1 – 17)

عدمه إنما يوحى وكأن القرآن الكريم سبعة كتب –كما الإنجيل عند النصارى أناجيل أربعة– ولكن الصواب أن الأحرف السبعة هى أوجه سبعة تؤدى إلى القراءات .

وإنما كان السؤال على هيئة : (هل بقيت الأحرف السبعة فى المصحف العثمانى أم لا ؟) من بعض الأئمة المتقدمين إنما لتوجيههم الأحرف السبعة إلى معانى سبعة فى الكلمة الواحدة، وهذا القول قد نُقِضَ فيما سبق، وكان هذا السؤال منهم أيضاً حملاً على ما توصلوا إليه فى معنى الأحرف السبعة –وهو غير صحيح– فكان عندهم أن الكلمة لا يُمكن أن تُحذف وتُثبت أو أن تُبدل فى نفس الوقت، فتوصلوا إلى نتيجة بقاء حرف واحد وهو غير صحيح كذلك وقد مر بك نقضه، وقد سايرهم فى هذا المصطلح –بقاء الأحرف السبعة من عدمه– أهل القراءات حتى ممن رد عليهم وكان

ينبغى التنبه لذلك رداً لشبهة الزائغين الذين ظنوا أن القرآن كان سبعة كتب كما الإنجيل أربعة أناجيلوها هى شبهتهم تهوى.

وبمناسبة الإختلافات بين المصاحف، وهى كلها قرآن لا يُمارى فيه، يظن أهل الزيغ والضلال أن نسخ عثمان –رضى الله عنه– لصحف أبى بكر –رضى الله عنه– إنما كان فى مصحف واحد، وأن النسخ التى أرسلت إلى الأمصار من هذا المصحف إنما كانت متطابقة فى كل شىء، وأنه يُقال لهذا المصحف «المصحف العثمانى الإمام»، ثم إنهم بعد ذلك – بناءًا على ما ظنوه هم فى مخيلتهم وهو محض أوهام– يخرجون ببعض الإختلافات بين المصحف الذى اسموه الإمام ذاك وبين المصاحف التى بُعث بها إلى الأمصار من إبدال وحذف وإضافة وخلافه، فينقلون من كتب القراءات ما يجعل القارىء يسخر من جهلهم، فينقلون إختلف أهل الشام عن أهل المدينة فى قراءة كذا وكذا وكذا، وإختلف أهل الكوفة

عن أهل البصرة فى كذا وكذا، مثلاً كما نقلنا فيما سبق من كلام الكردى، وهكذا أرهقوا أنفسهم فى جمع ذلك وبثه إلى المسلمين وكأننا نجهل هذا الأمر !

وكما هو معلوم وقد تقرر فيما سبق أن كل هذا قرآن منزل من عند الله وأن كل تلك الإختلافات إنما هى قراءات قرآنية بحسب الأحرف السبعة، ولا يُقال لأحد تلك المصاحف المصحف العثمانى الإمام دون سواه من المصاحف الآخرى، قال ابن كثير : "وأما المصاحف العثمانية الأئمة فأشهرها اليوم الذي في الشام بجامع دمشق عند الركن شرقي المقصورة المعمورة بذكر الله، وقد كانت قديمًا بمدينة طبرية ثم نقل منها إلى دمشق في حدود ثمان عشرة وخمسمائة، وقد رأيته كتابا عزيزا جليلا عظيما ضخما بخط حسن مبين قوي بحبر محكم في رق أظنه من جلود الإبل، والله أعلم، زاده الله تشريفا وتكريما وتعظيما"[249]

والشاهد من كلام ابن كثير هو قوله : " المصاحف العثمانية الأئمة " فكل هذه مصاحف عثمانية أئمة، نعم بينها إختلافات من إبدال وحذف وإضافة وغيره، لكن لا يُقال أيها الصحيح وأيها الخطأ، فكل هذا قرآن وكل هذه قراءات قرآنية لا يجوز إنكار شيئاً منها، ولم يكن شيئاً من ذلك بسبب خطأ من الكاتب –حاشا لله– كما توهم أولئك .

فإذاً لا حاجة لنا بهذا النقل الذى أفردوا له صفحات عديدة ليثبتوا وجود إختلافات بين قراءات أهل الأمصار المختلفة تبعاً للإختلافات بين المصاحف العثمانية، فهذا مما هو معلوم لعموم المسلمين، فلو أنهم وفروا تلك الورقات وذلك المجهود لأمر آخر يحسنوه لكان خيراً لهم، لكن يجدّون فى إرهاق أنفسهم بالجمع والكتابة والتسطير –والأخطاء الإملائية كذلك– فى عشرات الصفحات، ثم يُنقض بينيانهم الهاوى فى أسطر قليلة .

---

[249] تفسير القرآن العظيم (34/1) دارطيبة للنشر والتوزيع، الطبعة : الثانية

القراءة الصحيحة والقراءة الشاذة :-

وهكذا نسخ ذو النورين عثمان –رضى الله عنه– المصاحف جامعاً فيها جميع القراءات المنزلة التى لم تُنسخ تلاوتها، وقد نشط علماء القراءات ليميزوا بين القراءة الصحيحة الباقية وبين غيرها من الشاذ وخلافه سواء مما نُسِخ تلاوته أو مما ضل البعض فحاول أن يدخله فى القرآن وهو ليس منه فتصدوا له، فعرفوا الصحيح من الضعيف والشاذ والباطل.

قال ابن الجزرى:"كل قراءة وافقت العربية ولو بوجه ووافقت أحد المصاحف العثمانية ولو احتمالاً وصح سندها فهي القراءة الصحيحة التي لا يجوز ردها ولا يحل إنكارها بل هي من الأحرف السبعة التي نزل بها القرآن ووجب على الناس قبولها سواء كانت عن الأئمة السبعة أم عن العشرة أم عن غيرهم من الأئمةالمقبولين، ومتى اختل ركن من هذه الأركان الثلاثة أطلق عليها ضعيفة أو شاذة أو باطلة سواء كانت عن السبعة أم عمن هو أكبر منهم، هذا هو الصحيح عند أئمة التحقيق من السلف والخلف"[250]

ونحمد الله أن يسر لنا من أمتنا خليفة كعثمان –رضى الله عنه– ومن معه من الصحابة –رضى الله عنهم أجمعين– ثم علماء القراءات، الذين بفضل الله قد تصدوا لنقل القرآن الكريم إلينا كما أداه النبى –صلى الله عليه وسلم– فلا نقص منه كما يزعم المتخرصون على عثمان –رضى الله عنه– ولا زيد عليه من بعده.

قال ابن الجزرى :" قال الإمام أبو طاهر بن أبي هاشم في كتابه البيان: وقد نبغ نابغ في عصرنا فزعم أن كل من صح عنده وجه في العربية بحرف من القرآن يوافق المصحف فقراءته جائزة في الصلاة وغيرها فابتدع بدعة ضل بها عن قصد السبيل (قلت) وقد عقد له

[250] النشر فى القراءات العشر (19/1)

بسبب ذلك مجلس ببغداد حضره الفقهاء والقراء وأجمعوا على منعه وأوقف للضرب فتاب ورجع وكتب عليه بذلك محضر كما ذكره الحافظ أبو بكر الخطيب في تاريخ بغداد وأشرنا إليه في الطبقات ومن ثم امتنعت القراءة بالقياس المطلق وهو الذي ليس له أصل في القراءة يرجع إليه ولا ركن وثيق في الأداءيعتمد عليه"[251]

فلله در أمير المؤمنين عثمان بن عفان –رضى الله عنه– أن نسخ المصاحف وجمع فيها كل القراءات التى تواترت عن النبى –صلى الله عليه وسلم– ولم تُنسخ لتهتدى أمته من فتنة زائغ مستحدثة كتلك التى سقناها فى الأسطر السابقة، فلا يسع عاقل بعد علمه ما تقدم إلا أن يُسلم بحفظ القرآن الكريم، لم يُزد فيه ولم يُنقص منه، وهو عهد الله إلى رسولنا –صلى الله عليه وسلم– فى قوله:{ لَا تُحَرِّكْ بِهِ لِسَانَكَ لِتَعْجَلَ بِهِ إِنَّ عَلَيْنَا جَمْعَهُ وَقُرْآنَهُ }[القيامة 16 : 17]

[251] النشر فى القراءات العشر (1/ 28)

الفصل الرابع :

أصـــل الـــشبـــهـــات

ومحاولة تطبيق قواعد النقد النصى على القرآن الكريم

إن الإستدلال ببعض ما يروى من قراءات مخالفة لمصحف عثمان عن ابن مسعود –رضى الله عنه– وغيره من الصحابةللقول بأن المصاحف العثمانية لم يكن مُجمعاً عليها لا ينهض دليل ولا يثبت حجة، فكم من قراءات ذات أسانيد صحيحة عن الصحابة الكثير لم تُثبت فى المصاحف العثمانية، فإن سايرنا المتكلم فى هذا فلا نقول إلا أن المصاحف العثمانية لم يُجمِع عليها سوى عثمان نفسه! وهذا لا يستسيغه إلا جاحد معاند، فالأمة إلى يومنا هذا تقرأ بما جاء فى المصاحف العثمانية وهو دليل تلقى الأمة كلها ما فى المصاحف العثمانية وقتئذٍ بالقبول، وإن قلنا بخلاف ذلك فكيف يُثبت المُدعى أنه أمكن لعثمان –رضى الله عنه– أن يحمل جميع الناس فى مختلف الأمصار–ونحن نعلم كيف كانت رقعة الدولة الإسلامية حينئذ– على القراءة بما فى مصحفه دون سواه؟ لا يمكن لعاقل أن يدعى هذا الإدعاء فضلاً عن أن يُصدقه السامع.

ناهيك عن كون القرآن لا يؤخذ من المصحف؛ وإلا كيف سيقع مثلاً فى أيدى الخمسة ألاف قارىء السابق ذكرهم فى الشام من قراء أبى الدرداء وابن عامر مصحف واحد – الذى أرسله عثمان للشام– ليقرؤوا جميعاً به ؟

فإن قيل: إذاً ما توجيه هذه القراءات صحيحة السند التى لم تُثبت فى المصاحف العثمانية؟ قلنا:أنها منسوخة تلاوةً، قال الدوسرى:" شرطا أساساً في الحكم على القراءة،هو موافقة

الرسم العثماني،وكل قراءة خالفت هذا الرسم عند جمهور العلماء لا تُعدّ متواترة عن النبي صلى الله عليه وسلم،وإن ثبتت فإنها منسوخة بالعرضة الأخيرة"[252]

فإن قيل: ما حجتكم فى هذا ؟

قلنا:حجتنا هو إجماع أصحاب رسول الله –صلى الله عليه وسلم– على ترك كتابتها فى المصاحف العثمانية، بل وترك التحفيظ بها وهذا هو الأهم، فلو تتبعت أسانيد القراءات الآن لوجدتها تنتهى إلى صحابة ممن يروى عنهم هذه القراءات –الشاذة– التى لم تُثبت فى المصاحف ورغم هذا لا تشتمل قراءات هؤلاء القراء الذين تنتهى أسانيد قراءتهم إلى هؤلاء الصحابة الذين يروى عنهم هذه القراءات الشاذة على هذه القراءات التى لم تُثبت فى المصاحف العثمانية، فطالما ترك الصحابة كتابتها والأهم من ذلك تركوا التحفيظ بها فهم مجمعون على أنها ليست قرآناً يُتلى، وأن قراءتها منسوخة بالعرضة الأخيرة.

فكما قال الزرقانىأن المعول عليه فى نقل القرآن الكريم إنما هو الحفظ والإستظهار والتلقين من قارىء لقارىء،وإنما كانت الكتابة زيادة فى الحذر والإحتياط[253].

بدليل قول رسول الله –صلى الله عليه وسلم– فيما أخبر عن الله تعالى قال:" إني مبتليك ومبتل بك ومنزل عليك كتابا لا يغسله الماء تقرؤه نائما ويقظانا "[254]، فدل هذا الحديث على أن القرآن محفوظ فى الصدور لا فى السطور، مصداقاً لقوله تعالى:{ بَلْ هُوَ آيَاتٌ بَيِّنَاتٌ فِي صُدُورِ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَمَا يَجْحَدُ بِآيَاتِنَا إِلَّا الظَّالِمُونَ}[العنكبوت:49].

---

[252]المنهاج فى الحكم على القراءات (ص:6)

[253]مناهل العرفان(1/177)

[254]قال ابن تيمية فى مجموع الفتاوى(13/400):صحيح

قال الألوسى:"المرعى فيه السماع من النبي صلى الله تعالى عليه وسلم "[255]، وقال ابن تيمية:"والاعتماد فى نقل القرآن على حفظ القلوب لا على المصاحف"[256].

وقد كان هذا سبيل القراء الكبار من الصحابة والتابعين منذ القرون الأولى ما روى عن عمر بن الخطاب وزيد بن ثابت وعروة بن الزبير ومحمد بن المنكدر وعمر بن عبد العزيز وعامر الشعبي:"أن القراءة سنة يأخذها الأول عن الآخر فاقرءوا كما علمتموة"[257]

وعن سليمان بن موسى أنه قال:" لا تأخذوا الحديث عن الصحفيين،ولا تقرؤوا القرآن على المصحفيين"[258]

وكذلك قول الوليد بن مسلم:" لا تأخذوا العلم من الصحفيين ولا تقرءوا القرآن على المصحفيين؛إلا ممن سمعه من الرجال وقرأ على الرجال"[259].

وهذه قاعدة أصيلة أرساها الأئمة تقول:" لا تأخذ القرآن من مصحفي ولا العلم من صحفي"[260].

فخلاصة القول أن قراءة الصحابى الفلانى أو حتى التابعى الفلانى لا تُأخذ من مصاحف – ولا نقول أن قراءتهم تخالف المصاحف أصلاً– بل تؤخذ منهم مباشرةً أو ممن أخذ عنهم من جيل إلى جيل، وقراءات هؤلاء الصحابة –رضوان الله عليهم– معلومة لنا متواترة من

[255] روح المعانى(21/1)
[256] مجموع الفتاوى(400/13)
[257] السبعة فى القراءات (49/1)
[258] الجرح والتعديل لابن أبي حاتم (31/2)
[259] تهذيب الكمال (98/3)
[260] توضيح الأفكار للصنعانى (394/2)

جيل إلى جيل لا تشمل هذه القراءات الشاذة المخالفة للمصاحف العثمانية، وطالما لم يرد لنا عن الصحابة –رضوان الله عليهم– إعتراض فى ذلك، بمعنى أنه لم يُنقل في قراءاتهم ما يُخالف المصاحف العثمانية –أى:أيٍ من هذه القراءات الشاذة– فهنا يقوم لنا الدليل على إجماعهم على هذه المصاحف.

قال ابن عثيمين:" إذا دل الكتاب والسنة على شيء، ولم يأت عن الصحابة ما يخالفه، فيعني ذلك أنهم مجمعون عليه، وهذا المسلك لإثبات الإجماع قد يخفى على كثير من الناس"[261]

فإن قيل: وكيف نقبل بفكرة أن الصحابة قد أجمعوا على ما فى المصاحف العثمانية وتركوا القراءات الآخرى بحجة أنها منسوخة وهى تروى عنهم بأسانيد صحيحة ؟ أو أن نقبل بفكرة أنه كان بوسعهم الإنكار على عثمان –وهو الخليفة حينئذ– إن عمل فى نسخ المصاحف عملاً لا يرضونه ؟

قلنا: أن من لم يُعمِلَ النظر فى إجابة السؤال السابق ويعلم أن الأصل فى معرفة قراءات الصحابة –رضوان الله عليهم– هو ما سُمِع منهم مشافهةً ونُقِلَ من جيلٍ إلى جيل بطريق التواتر لا بما فى المصاحف، وأن من يأخذ عنهم قراءته يأخذها منهم مباشرةً أو ممن أخذ عنهم من جيل إلى جيل وهذا هو السبيل الوحيد لمعرفة قراءات الصحابة –رضوان الله عليهم– فمن لا يعلم ما سبق هو من يسأل سؤال كهذا الآن، لكن لا بأس من إجابته .

من أدلة ذلك ما روى عن علقمة قال:" دخلت في نفر من أصحاب عبد الله الشأم فسمع بنا أبو الدرداء فأتانا فقال أفيكم من يقرأ ؟ فقلنا نعم، قال فأيكم أقرأ ؟ وفى رواية: أيكم

[261]إتحاف الخلان والجماعة بشرح عقيدة أهل السنة والجماعة الشريط الأول .

يقرأ على قراءة عبد الله قال كلنا، قال فأيكم يحفظ فأشاروا إلي فقال اقرأ فقرأت {والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى}، قال أنت سمعتها من في صاحبك ؟ قلت نعم قال وأنا سمعتها من في النبي صلى الله عليه وسلم وهؤلاء يأبون علينا"[262]

قال ابن حجر: "ثم هذه القراءة لم تنقل إلا عمن ذكر هنا ومن عداهم قرؤوا وما خلق الذكر والأنثى وعليها استقر الأمر مع قوة إسناد ذلك إلى أبي الدرداء ومن ذكر معه ولعل هذا مما نسخت تلاوته ولم يبلغ النسخ أبا الدرداء ومن ذكر معه والعجب من نقل الحفاظ من الكوفيين هذه القراءة عن علقمة وعن ابن مسعود واليهما تنتهي القراءة بالكوفة ثم لم يقرأ بها أحد منهم وكذا أهل الشام حملوا القراءة عن أبي الدرداء ولم يقرأ أحد منهم بهذا فهذا مما يقوي أن التلاوة بها نسخت"[263]

بمعنى أن هذه القراءة التى قرأ بها عبدالله بن مسعود، وهو من أخذ عنه أهل الكوفة قراءتهم، لم يقرأ بها أحدٌ من أهل الكوفة بعد لا عن ابن مسعود ولا عن علقمة، وكذلك أهل الشام الذين أخذوا قراءتهم عن أبى الدرداء وهو يقرأ بهذه القراءة، لم يقرأ بها أحدٌ منهم بعد بها، فكلاهما – ابن مسعود وأبو الدرداء – قد تركا التحفيظ بها كونها منسوخة، وإلا لبقيت فى قراءة الكوفيين والشاميين إلى اليوم يتناقلونها حفظاً من جيل لجيل، فلما لم يقع ذلك دل هذا على أنها

منسوخة تلاوةً، ولكن انظر هدانى الله وإياك كيف أن قراءة منسوخة كهذه لم تعد قرآناً يُتلى، ولعدم بلوغ أبى الدرداء نسخها لكونه بالشام رفض وأبى إلا أن يقرأ بها حتى ولو نهاه

[262] صحيح البخارى (3287)
[263] فتح البارى (707/8)دار المعرفة – بيروت، 1379

عنها جمعٌ من قراء الشام، حتى كان أول ما فعله حين قدم عليه أصحاب عبدالله بن مسعود فى الشام أن يُحاجج بهم هؤلاء القراء ويرفض إتباع قراءتهم.

وهذا يدل على أمران: الأول أن ما كان ليمكن لعثمان –رضى الله عنه– أن يحمل الأمة على أن تقرأ بغير ما عرفت أنه قرآن مُنزل من رب العالمين أو أن تُسقِط منه ما علمت أنه لم يُنسخ أو يُرفع تلاوةً حتى ولو حُرِقت كل المصاحف فى عهده، وبالتالى فباب هذه المقولة التى تتردد على ألسنة الزائغين من القول بقرآن عثمان صار مسدوداً، فهم أرادوا إيهام أتباعهم بأن القرآن فى عهد نبينا –صلى الله عليه وسلم– كان شيئاً أما ما جمع عليه عثمان –رضى الله عنه– الأمة فأمرٌ آخر، وقد إنسد باب هذه الشبهة.

أما الأمر الثانى هو أن ما كان لأصحاب النبى –صلى الله عليه وسلم– أن يتركوا لعثمان –رضى الله عنه– أن يجمعهم على غير القرآن الذى علموه من النبى –صلى الله عليه وسلم– مُنزلاً من الله –جل وعلا– فكما وقف أبو الدرداء وحده لهذا الجمع من القراء فى الشام، وقف عبدالله بن مسعود –رضى الله عنه– رافضاً ما قرره أمير المؤمنين وخليفة المسلمين عثمان –رضى الله عنه– لما ظن أن النسخ العثمانى إنما هو منع قراءات الصحابة وإقرار قراءة زيد بن ثابت وحده حين قال: "كيف تأمرونني أن أقرأ على قراءة زيد بن ثابت، بعد ما قرأتُ مِنْ فيّ رسولِ الله –صلى الله عليه وسلم– بِضْعا وسبعين سورة، وإنَّ زيدا مع الغلمان له ذؤابتان"[264]

فكان ظن ابن مسعود بدايةً أن سيُمنع كل أحدٍ من قراءته وتكون قراءة زيد وحده، فوقف هذا الموقف ورفض، ولو كان الأمر كذلك لوقف كل الصحابة معه، ولكنه لم يكن كذلك،

[264] جامع الأصول فى أحاديث الرسول (48/9)، قال أيمن صالح: صحيح

بدليل ما ذكره الذهبى:"وقال إسماعيل بن عبد الملك كان سعيد بن جبير يؤمنا في رمضان فيقرأ ليلة بقراءة ابن مسعود وليلة بقراءة زيد"[265]

وخلاصة ذلك أنه لما كان فى غير مقدور عثمان –رضى الله عنه– أن يحمل الأمة على خلاف القرآن، ولما كان الصحابة لا يُقدَر على منعهم من القراءة على أحرفهم، لكان –إن صح كلام الطاعنين– ظهر الخلاف بين مصاحف عثمان وقراءات قراء الأمصار المختلفة .

وكما مر بك فى مسألة بقاء الأحرف السبعة فى المصاحف العثمانية، وقد خرجنا منها باللفظ الأصح وهو بقاء القراءات كلها فى المصاحف العثمانية،فما يضير عثمان –رضى الله عنه– ومن معه من نساخ المصاحف وهو ينسخ أكثر من مصحف أثبت فى جميعها جميع القراءات القرآنية المنزلة –كما مر بك فى الأمثلة التى ذكرها الكردى– أن يُثبت تلك القراءات –التى هى شاذة– التى يستدل بها الزائغون إن كانت باقية ولم تُنسخ تلاوتها ؟!

فلا يستقيم عقلاً ولا يصح لأحد أن يدعى أن عثمان –رضى الله عنه– قد أغفل شيئاً من القرآن الكريم ولم يُثبته فى المصحف الذى نسخه؛ ودليل ذلك ما جاء فى صحيح البخارى عن ابن أبي مليكة قال:" قال ابن الزبير قلت لعثمان هذه الآية التي في البقرة {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا إلى قوله غير إخراج} قد نسختها الأخرى فلم تكتبها قال تدعها يا ابن أخي لا أغير شيئا منه من مكانه"[266].

[265]معرفة القراء الكبار (69/1)
[266]صحيح البخارى (4172)

فهو نفسه –رضى الله عنه– إنما نسخ أكثر من مصحف فيما بينها إختلافات فى الحذف والإثبات والإبدال جمعت القراءات المختلفة، فإن كان يريد جمع المسلمين على شيء واحد أراده هو دون سواه من قراءات باقى الصحابة لنسخ المصاحف كلها من دون حذف وإثبات وإبدال وغيره ولكانت شيئاً واحداً متشابهاً فى كل شيء .

وأخالك بعد هذا لا تحتاج إلى نقض بنيان هاوٍ حاول أن يؤسس له مستشرقون أطلقوا عليه نقد نصوص القرآن، فما سبق وفر علينا كثيراً، فكل ما خالف مصحاف عثمان –رضى الله عنه– ليست بقرآن أصلاً .

محاولات تطبيق قواعد النقد النصى (الأدنى) على القرآن الكريم :-

النقد النصى (النقد الأدنى): هو دراسة مخطوطات أى عمل أدبى ضاع أصله بهدف إعادة تكوين النص الأصلى المفقود أو أقرب صورة له .

يتميز كتاب النصارى –أو كتب النصارى– بكثرة مخطوطاتها، فهناك الكثير جداً من المخطوطات لكتابهم، هذه المخطوطات لا يوجد من بينها مخطوطتين متطابقتين، وكل المخطوطات فيما بينها إختلافات، والهدف من تطبيق النقد النصى على هذا الكتاب هو الوصول إلى الشكل الصحيح للكتاب [267] من بين كل تلك الأشكال المختلفة الموجودة فى المخطوطات، إذ أن أصول هذا الكتاب مفقودة وكل ما لدينا هو نُسَخ نُسَخ النُسَخ وأكثر، ثم بالوصول للشكل الصحيح أو أقرب شكل، يمكن بعد ذلك الخروج بنتائج لاهوتيه وتفسيريه، وهذا بالنسبة لنا يثبت تحريف كتابهم على مر العصور؛ فبمجرد تغير فى النقل من مخطوطة إلى آخرى ينتقل هذا التغير عبر العصور ويصبح الشكل الخاطىء هو المنتشر بين النصارى، كما أن بعض تلك الإختلافات ثم الوصول للصورة الأصح ينفى كذلك إدعاءات الألوهية للمسيح –عليه السلام– والإختيار من بين تلك الأشكال المختلفة للمخطوطات يقوم على عدة قواعد ليس هنا محل بسطها .

مثال على ذلك أحد الأعداد الهامة التى يستشهد بها النصارى على ألوهية المسيح –عليه السلام– يقول الأنبا شنودة:"(1يو 5 : 7)"الذين يشهدون فى السماء ثلاثة الآب والكلمة

[267] ليس معناه أنه يمكن الوصول لإنجيل المسيح فهذه الكتب كتابها مجاهيل لا يُدرى من هم وليس فيما بين تلك الكتب الكتاب المنزل على المسيح

والروح القدس وهؤلاء الثلاثة هم واحد".وهنا اللاهوت واضح أيضاً والكلمة هنا بدلاً من الابن فى (مت 28 : 19)"[268]

لكن الذى لا يعلمه الأنبا أن النص الذى يستشهد به وأعطاه أرقام (1 يو 5 :7) –مما يؤكد وجوده فى النسخة لديه بالعدد المذكور– هو نص لا وجود له من الأساس فى كتابه؛ فبدراسة المخطوطات المختلفة لهذا الكتاب وجدنا أن هذا النص وهو من أهم النصوص لديهم لتدعيم فكرة ألوهية المسيح –عليه السلام– غير موجود فى مخطوطات ما قبل القرن الخامس عشر الميلادى.

جاء فى دائرة المعارف الكتابية:" وقد حدثت أحياناً بعض الإضافات لتدعيم فكر لاهوتي، كما حدث في إضافة عبارة "والذين يشهدون في السماء هم ثلاثة" (1يو5: 7) حيث أن هذه العبارة لا توجد في أي مخطوطة يونانية ترجع إلى ما قبل القرن الخامس عشر، ولعل هذه العبارة جاءت أصلاً في تعليق هامشي في مخطوطة لاتينية، وليس كإضافة مقصودة إلى نص الكتاب المقدس، ثم أدخلها أحد النسَّاخ في صلب النص"[269]

فانظر إلى هذا التحريف المؤثر جداً كيف إنتشر بين أيدى النصارى حتى صار معتمد لديهم فى التدليل على ألوهية المسيح –عليه السلام– وما هو فى الواقع إلا تحريف إنتقل من مخطوطات القرن الخامس عشر إلى القرون التالية، أما مخطوطات ما قبل القرن الخامس عشر فلا تحتوى على هذا النص، وهذه قاعدة من ضمن القواعد أن الشكل الأقدم للنص هو الأصح، ولن نضرب أمثلة بالطبع لكل القواعد إنما أردنا تقريب المسألة للمسلم، بل

[268] لاهوت المسيح – ص: 8
[269] دائرة المعارف الكتابية – الجزء الثالث – صفحات 294 ، 295

والنصرانى الذى لا يدرى عن هذه العلوم شيئا بعد أن رفض الأنبا الهالك شنودة تدريسها لنصاريه.

هكذا وعلى ذات المنوال يود النصارى تطبيق النقد النصى على القرآن الكريم، وما هو إلا الجهل بالقرآن الكريم ليس إلا، هناك الكثير من القرءات، القراءات الصحيحة لا مشكلة فيها البتة، فهى قرآن لم تُنسخ تلاوته ويُقرأ بهذه أو بتلك أو غيرها طالما كانت صحيحة، أما القراءة الشاذة فقد نُسِخت تلاوتها ولا يجوز القراءة بها وقد صارت مفسرة للقراءة الصحيحة وكل ذلك قد قدمناه من قبل فارجع إليه إن شئت غير مأمور.

إذاً ما هو العجيب فى الأمر ؟ العجيب أن النصارى يظنون أن القراءات الشاذة التى لم تعد قرآناً وقد نُسِخت تلاوتها ما هى إلا قرآن ضاع من المسلمين –والمسلمون أصلاً على علم بتلك القراءات قبلاً وأنها من الشاذ– ويقوم هؤلاء النصارى بالطعن بذلك متسائلين:ألتى كُتِبت فى القرآن بين أيدى المسلمين الآن هى القرآنية أم التى ليست بمكتوبة ؟!

بسطاء كالحمام خبثاء كالحيات [270] يقولون فى غباء [271]:"إن هذا مهم وضرورى من أجل فهم نصوص القرآن الكريم ومعرفة معانيه!" جهلاء هم كما أُختيروا[272]

ألم نقل قبلاً أن القراءة الشاذة مفسرة للصحيحة ؟ ونفس الأمر بالنسبة للقراءات الصحيحة فيما بينها فيما يتعلق بالتفسير والفهم، كما أن هذه القراءات الناتجة عن الأحرف كما قلنا سابقاً ليس بينها تضاد ولا إختلاف، ولا يأمر حرف بشىء ينهى عنه الآخر، ولدينا فى هذا

---

[270] جاء فى إنجيل متى (إص:10 عد:16) :" ها انا ارسلكم كغنم في وسط ذئاب فكونوا حكماء كالحيات و بسطاء كالحمام"

[271] يقول بولس فى (2كو 11:1) :" ليتكم تحتملون غباوتي قليلا"

[272] يقول كذلك فى (1كو 1:27) :" بل اختار الله جهال العالم ليخزي الحكماء"

أثر صحيح عن ابن مسعود –رضى الله عنه– قال:" إني سمعت القراء فوجدتهم متقاربين، فاقرؤوا كما علمتم، وإياكم والتنطع، فإنما هو كقول أحدكم:هلم وتعال"[273]

ولذا قال الطبرى:" إختلاف الأحرف السبعة إنما هو إختلاف ألفاظ كقولك"هلم وتعال" بإتفاق المعانى، لا بإختلاف معانٍ موجبة إختلاف أحكامٍ"[274]

فلا يصح تطبيق النقد النصى على القرآن الكريم، فالنقد النصى يُطبق على أى عمل أدبى ضاعت أصوله، وهذا الأمر غير متوفر فى القرآن الكريم، فأصوله لدينا ما ضاع منها شيء، فقد جاء فى صحيح البخارى عن ابن أبي مليكة قال:"قال ابن الزبير قلت لعثمان هذه الآية التي في البقرة {والذين يتوفون منكم ويذرون أزواجا إلى قوله غير إخراج} قد نسختها الأخرى فلم تكتبها قال تدعها يا ابن أخي لا أغير شيئا منه من مكانه"[275]

وهذه الرواية التى كثر إستشهادنا بها لها مردودها فى الرد على الطاعنين فى نسخ عثمان –رضى الله عنه– فى المصاحف؛ إذ لم يُغير شيئاً مما كان عليه الجمع الأول من مكانه، ومصاحف عثمان –رضى الله عنه– هى المعتمدة فى أمر الحفظ كتابةً –لما سبق وأشرنا أن مصاحف الصحابة كانت ربما تحتوى على تفاسير فى الهوامش وخلافه– وقد وافقه على ذلك صحابة رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وسبق الكلام على هذا فى الشبهات حول نسخ عثمان المصاحف وكذا فى مسألة بقاء الأحرف فى المصاحف ولا داعى للتكرار .

[273]راجع حاشية مسند أحمد ط الرسالة (147/34) قال الأرنؤوط : أخرجه الطبري في مقدمة "تفسيره" 22/1، والطبراني في "الكبير" (8680) ، وإسناده صحيح وقد سبق فى الكلام على الأحرف السبعة .

[274]جامع البيان فى تأويل القرآن (50/1)

[275]صحيح البخارى (4172)

فهذه هى أول نقطة أن أصول القرآن الكريم ليست بمفقودة من الأساس ليُطبق عليه النقد النصى، فهذا مخالف لما عليه تعريف النقد النصى .

النقطة الثانية أن النقد النصى يحتاج إلى مخطوطات ليقوم عليها هذا العمل، والأصل فى حفظ القرآن الكريم هو حفظ الصدور لا السطور، ناهيك أنه قد مر بك أن كلا الأمرين – حفظ الصدور والمصاحف العثمانية– متطابقان .

لذا نشكر لكم حرصكم علينا، لا داعى لإرهاق أنفسكم فى هذا الأمر مطلقاً، فقط وفروا جهودكم لإثبات تحريف كتبكم .

الفصل الخامس :

شبهات

أمثلة لتلك القراءات الشاذة التى حاولوا تطبيق النقد النصى عليها ودفعها

قد يكون لا أهمية لهذا الفصل الآن بعد ما قدمناه من علوم القرآن الكريم ما كان يجهله هؤلاء الطاعنون، فالإستشهاد من خلال حديث صحيح بقراءة كانت تُقرأ فى القرآن الكريم ولم تعد موجودة الآن للقول بتحريف القرآن ما هو إلا جهل بعلوم القرآن التى قدمنا لها فيما سبق، فكل قراءة من تلك القراءات الشاذة هى منسوخة تلاوةً، وقد سبق وقدمنا الأدلة على كون كل ما لم يُكتب فى المصحف من تلك القراءات لم يعد قرآناً أصلاً؛فقد ترك الصحابة بالإجماع كتابتها فى المصاحف والتحفيظ بها.

فاستشهادك أيها المتقول على القرآن بغير علم بشىء من هذا ما هو إلا بيان لجهلك بالقرآن الكريم وكأنك تطلب منا ألا نقرأ لك ولا نلتفت إليك، وفر أقلامك وحبرك وأوراقك لأمور قد تحسنها أكثر من تلك التى تضعك أكثر مما ترفعك.

لكن رغم ذلك نُقدم لبعض تلك الروايات التى يسوقها هؤلاء ونُقوم بالرد عليها عل المسألة تتضح أكثر لهم، فكما قلنا بالمثال يتضح المقال[276]

ليس مطلوباً فى هذا المجال من المسلم أكثر من القول بأن القراءة التى يستشهد بها هؤلاء شاذة، وإن كان محدثه يجهل معنى شاذة –وهو بالتأكيد سيكون كذلك– فيقول أنها ليست بقرآن أصلاً لتُكتب فى المصحف وتُحفظ، ورغم ذلك سنحاول فيما سيأتى بسط

[276] حقيقةً قد لا تُفلح تلك الطريقة فى كل الأحيان؛ فكم من مرة حاول هؤلاء المتخرصون شرح ثالوثهم مقدسهم لعامتهم بأمثلة ساذجة سخيفة وتكون النتيجة فى النهاية الوصول بك إلى القول أنك لن تفهم الثالوث أبداً فيجب أن تؤمن به فحسب ! ولا عزاء للعقلاء؛ وهو ما دعى بارت إيرمان أن يقول: "إن كنت تظن أنك تفهم الثالوث فأنت بالتأكيد تفهمه بشكل خاطىء؛ إذ أن الثالوث لا يمكن فهمه"

الأمر فى بعض الروايات ولن نكتفى بالقول أن تلك قراءة شاذة فى معظم الأحيان رغم أن هذا كاف جداً فى ذلك المجال، ونقسمها كما يحلو لهم تقسيمها كالتالى :

القراءات الشاذة فى صحيح الإمام البخارى :-

آية الرجم

والنهار إذا يغشى والليل إذا تجلى والذكر والأنثى

القراءات الشاذة فى صحيح الإمام مسلم :-

حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر

عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس

القراءات الشاذة فى مسند الإمام أحمد :-

لو أن لابن أدم واديين من مال

قطعاً ليست هذه هى كل القراءات الشاذة –ولكن نكتفى بما نقلوه فى ذلك، إذ أن إفراد الرد على تلك القراءات يجعل هؤلاء على مقدرة من الرد على أى قراءة شاذة تعرض لهم فيما بعد– فالقراءات الشاذة تُدرس فى معاهد القراءات مرصوصة فى كتب ومجلدات،

فالمسلمون على علم بتلك القراءات قبلاً ولم يكونوا فى إنتظار هؤلاء الحمقى ليخرجوا علينا بما ظنوه إكتشاف تاريخى، ولحمقهم كان أيسر لهم أن ينقلوا القراءات الشاذة من كتب القراءات المخصوصة بهذا الأمر، فلكان لديهم وقتها رصيد ضخم من تلك القراءات الشاذة غير المثبوتة فى المصحف ليتوهموا بها ما يراه ليلاً من طار الغطاء عن ساقيه إلى أعلاها فى ليلة قارصة البرودة حالكة السواد، ولكن الحقد يغشى عقول أصحابه .

آية الرجم :-

عن عمر –رضى الله عنه– قال:"لقد خشيت أن يطول بالناس زمان حتى يقول قائل لا نجد الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله ألا وإن الرجم حق على من زنى وقد أحصن إذا قامت البينة أو كان الحبل أو الاعتراف"[277]

وعنه قال:"إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان مما أنزل الله آية الرجم فقرأناها وعقلناها ووعيناها رجم رسول الله صلى الله عليه وسلم ورجمنا بعده فأخشى إن طال بالناس زمان أن يقول قائل والله ما نجد آية الرجم في كتاب الله فيضلوا بترك فريضة أنزلها الله"[278]

الرد على ذلك :-

أولاً: هل كان المسلمون يعتقدون أن آية الرجم لاتزال من القرآن أم كانوا يعتقدون بنسخ تلاوتها ؟

الإجابة على هذا بكل تأكيد هى لا؛ ودليل ذلك ما جاء عن عمر –رضى الله عنه– فى صحيح الإمام البخارى قال:"لولا أن يقول الناس زاد عمر في كتاب الله لكتبت آية الرجم بيدي"[279] فعمر –رضى الله عنه– نفسه هاهنا يقول أنه إن كتبها فقد زاد فى كتاب الله –أى

[277]صحيح البخارى (6327)
[278]صحيح البخارى (6328)
[279]صحيح البخارى (92/22)

وضع فيه ما ليس منه– وهو ذاته ما سيردده الناس وقتها؛ وبالتالى فالآية لم تعد قرآناً يُتلى ولم يعتقد بخلاف ذلك لا عمر –رضى الله عنه– ولا المسلمون وقته؛ وهذا هو الدليل الأول .

ثانياً: ما مناسبة كلام عمر –رضى الله عنه– عن آية الرجم ؟

إن رواية فى صحيح الإمام البخارى ترد هذا التساؤل؛ فعن ابن عباس –رضى الله عنه– قال:"كنت أقرئ عبد الرحمن بن عوف فلما كان آخر حجة حجها عمر فقال عبد الرحمن بمنى لو شهدت أمير المؤمنين أتاه رجل قال إن فلانا يقول لو مات أمير المؤمنين لبايعنا فلانا فقال عمر لأقومن العشية فأحذر هؤلاء الرهط الذين يريدون أن يغصبوهم قلت لا تفعل فإن الموسم يجمع رعاع الناس يغلبون على مجلسك فأخاف أن لا ينزلوها على وجهها فيطير بها كل مطير فأمهل حتى تقدم المدينة دار الهجرة ودار السنة فتخلص بأصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم من المهاجرين والأنصار فيحفظوا مقالتك وينزلوها على وجهها فقال والله لأقومن به في أول مقام أقومه بالمدينة قال ابن عباس فقدمنا المدينة فقال إن الله بعث محمدا صلى الله عليه وسلم بالحق وأنزل عليه الكتاب فكان فيما أنزل آية الرجم"[280]

إنه سؤال يجب أن يسترعى الإنتباه، وهو ما علاقة المقدمة التى يقول فيها رجل لو مات أمير المؤمنين لبايعت فلاناً بذكر عمر –رضى الله عنه– لآية الرجم ؟

[280] صحيح البخارى (6778)

وهذه العلاقة قد وضحها وشرحها ابن حجر فى الفتح فقال:"ومناسبة إيراد عمر قصة الرجم والزجر عن الرغبة عن الآباء في القصة التي خطب بسببها، وهي قول القائل: لو مات عمر لبايعت فلانًا، أنه أشار بقصة الرجم إلى زجر من يقول لا أعمل في الأحكام الشرعية إلا بما وجدته في القرآن وليس في القرآن تصريح باشتراط التشاور إذا مات الخليفة بل إنما يؤخذ ذلك من جهة السنة،كما أن الرجم ليس فيما يتلى من القرآن وهو مأخوذ من طريق السنة"[281]

فها هى المسألة تتضح؛ فعمر –رضى الله عنه– قد أورد آية الرجم التى لم تعد موجودة فى القرآن وإنما نُسِخت تلاوتها ويؤخذ الحكم –حكم الرجم– من طريق السنة ليؤكد أن مثلها مثل التشاور على إختيار الحاكم لا يوجد فى القرآن وإنما يؤخذ من طريق السنة؛ وهذا هو الدليل الثانى على نسخ تلاوتها.

ثالثاً من أدلة نسخ تلك الآية ما جاء عن كثير بن الصلت قال: " كان بن العاص وزيد بن ثابت يكتبان المصاحف فمروا على هذه الآية فقال زيد: سمعت رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة فقال عمر لما أنزلت هذه أتيت رسول الله صلى الله عليه و سلم فقلت أكتبنيها قال شعبة فكأنه كره ذلك"[282]

قال الطبرى فى تهذيب الآثار: "وأما قول عمر:"لما نزلت أتيت النبي صلى الله عليه وسلم، فقلت أكتبنيها، وكأنه كره ذلك"، ففيه بيان واضح أن ذلك لم يكن من كتاب الله المنزل

[281]فتح البارى بشرح صحيح البخارى لابن حجر (149/12)
[282]مسند أحمد (21636) ، قال الأرناؤوط : رجاله ثقات رجال الشيخين

كسائر آي القرآن؛ لأنه لو كان من القرآن لم يمتنع صلى الله عليه وسلم من إكتابه عمر ذلك، كما لم يمتنع من إكتاب من أراد تعلم شيء من القرآن ما أراد تعلمه منه، وفي إخبار عمر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه كره كتابة ما سأله إلا كتابه إياه من ذلك الدليل البين على أن حكم الرجم –وإن كان من عند الله تعالى ذكره– فإنه من غير القرآن الذي يتلى ويسطر في المصاحف"[283]، وهذا هو الدليل الثالث على أن تلك الآية لم تعد قرآناً وقد نُسِخت تلاوتها.

ثم إننا نفترض الآن أنه لم تكن لدينا تلك الجملة من الأدلة على نسخ تلاوة تلك الآية، فالدليل الأقوى أنها لم تُكتب فى المصاحف العثمانية؛ وبالتالى فهى من المنسوخ تلاوةً لا أكثر .

وينبغى الإنتباه إلى أنه كان مما جاء فى خطبة عمر –رضى الله عنه– كذلك قوله :"ثم إنا كنا نقرأ فيما نقرأ من كتاب الله أن لا ترغبوا عن آبائكم فإنه كفر بكم أن ترغبوا عن آبائكم أو إن كفرا بكم أن ترغبوا عن آبائكم"[284]، والرد على ذلك كالرد على شبهة آية الرجم كذلك، فهذه من المنسوخ تلاوةً .

وجدير بالذكر أن هذا لن يكفى هؤلاء، فيحتجون بما جاء فى مصنف عبد الرزاق:" عن معمر عن بن جدعان عن يوسف بن مهران أنه سمع بن عباس يقول أمر عمر بن الخطاب

---

[283] تهذيب الآثار ذكر من وافق عمر في الذي قال وروى من ذلك عن رسول الله صلى الله عليه وسلم ، من أحاديث 990 إلى 997 فباب : القول في البيان عما في هذه الأخبار من الأحكام

[284] صحيح البخارى (6328)

مناديا فنادى أن الصلاة جامعة ثم صعد المنبر فحمد الله وأثنى عليه ثم قال يا أيها الناس لا تخدعن عن آية الرجم فإنها قد نزلت في كتاب الله عز وجل وقرأناها ولكنها ذهبت في قرآن كثير ذهب مع محمد"[285]

وهذا قد سبق الرد عليه فى الشبهات حول الجمع،وفيه علتان: الأولى: ابن جدعان وهو علي بن زيد بن جدعانوحديثه لا يُحتج به.

الثانية: رواية معمر عن أهل البصرة؛فحديثه عن أهل البصرة لا يستقيم.

[285] مصنف عبد الرزاق (330/7) رقم (13364)

والنهار إذا يغشى والليل إذا تجلى والذكر والأنثى :-

وهذه الرواية قد تعرضنا لها قبلاً بالرد، عن علقمة قال:"دخلت في نفر من أصحاب عبد الله الشأم فسمع بنا أبو الدرداء فأتانا فقال أفيكم من يقرأ ؟ فقلنا نعم . قال فأيكم أقرأ ؟ – وفي رواية : أيكم يقرأ على قراءة عبد الله قال كلنا . قال فأيكم يحفظ – فأشاروا إلي فقال اقرأ فقرأت {والليل إذا يغشى والنهار إذا تجلى والذكر والأنثى}، قال أنت سمعتها من في صاحبك ؟ قلت نعم قال وأنا سمعتها من في النبي صلى الله عليه وسلم وهؤلاء يأبون علينا"[286]

قال ابن حجر: "ثم هذه القراءة لم تنقل إلا عمن ذكر هنا ومن عداهم قرؤوا وما خلق الذكر والأنثى وعليها استقر الأمر مع قوة إسناد ذلك إلى أبي الدرداء ومن ذكر معه ولعل هذا مما نسخت تلاوته ولم يبلغ النسخ أبا الدرداء ومن ذكر معه والعجب من نقل الحفاظ من الكوفيين هذه القراءة عن علقمة وعن بن مسعود وإليهما تنتهي القراءة بالكوفة ثم لم يقرأ بها أحد منهم وكذا أهل الشام حملوا القراءة عن أبي الدرداء ولم يقرأ أحد منهم بهذا فهذا مما يقوي أن التلاوة بها نسخت"[287]

بمعنى أن هذه القراءة التى قرأ بها عبدالله بن مسعود، وهو من أخذ عنه أهل الكوفة قراءتهم، لم يقرأ بها أحدٌ من أهل الكوفة بعد لا عن ابن مسعود ولا عن علقمة، وكذلك أهل الشام الذين أخذوا قراءتهم عن أبى الدرداء وهو يقرأ بهذه القراءة، لم يقرأ بها أحدٌ منهم بعد بها، فكلاهما –ابن مسعود وأبى الدرداء– قد تركا التحفيظ بها كونها منسوخة،

[286] صحيح البخارى (3287)

[287] فتح البارى (707/8)دار المعرفة – بيروت ،1379

وإلا لبقيت فى قراءة الكوفيين والشاميين إلى اليوم يتناقلونها حفظاً من جيل لجيل، فالأصل كما قلنا حفظ الصدور لا حفظ الكتابة، فلما لم يقع ذلك دل هذا على أنها منسوخة تلاوةً.

وبهذا ينتهى الرد على أمثلة القراءات الشاذة من صحيح الإمام البخارى.

حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى وصلاة العصر :-

عن أبي يونس مولى عائشة أنه قال: " أمرتني عائشة أن أكتب لها مصحفا وقالت إذا بلغت هذه الآية فآذني{حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى} فلما بلغتها آذنتها فأملت علي {حافظوا على الصلوات والصلاة الوسطى} وصلاة العصر {وقوموا لله قانتين} قالت عائشة سمعتها من رسول الله صلى الله عليه وسلم"[288]

طبعًا بشبهة كهذه نُدرِك مدى عدم مصداقية هؤلاء فى عرضهم، ونُدرِك دافعهم للهجوم على الإسلام والقرآن، وهو حقدهم على الإسلام .

لماذا أقول هذا الكلام ؟

لأن الحديث الذى تدور حوله الشبهة الآن هو الحديث رقم (998) فى صحيح مسلم، ولو كان لدى هؤلاء أدنى شيء من المصداقية فى العرض لعرضوا الحديث الذى يليه مباشرةً و به جوابًا عن هذه الشبهة .

فهذه الآية التى ذكرتها السيدة عائشة –رضى الله عنها– قد نُسِخت والحديث الذى يُبين هذا هو الحديث التالى مباشرةً للحديث موضع شبهة هؤلاء البعيدين كل البعد عن الحيادية والمصداقية إذ جاء عن البراء بن عازب قال: " نزلت هذه الآية "حافظوا على الصلوات وصلاة العصر" فقرأناها ما شاء الله ثم نسخها الله فنزلت {حافظوا على الصلوات والصلاة

[288] صحيح مسلم (998)

الوسطى} فقال رجل كان جالسا عند شقيق له: هي إذن صلاة العصر فقال البراء: قد أخبرتك كيف نزلت وكيف نسخها الله والله أعلم"[289]

وكما قلنا قبلاً: ثم إننا نفترض الآن أنه لم تكن لدينا تلك الأدلة على نسخ تلاوة تلك الآية، فالدليل الأقوى أنها لم تُكتب فى المصاحف العثمانية؛ وبالتالى فهى من المنسوخ تلاوةً لا أكثر .

[289] صحيح مسلم (999)

عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس :-

حدثنا يحيى بن يحيى قال قرأت على مالك عن عبد الله بن أبي بكر عن عمرة عن عائشة أنها قالت: "كان فيما أنزل من القرآن عشر رضعات معلومات يحرمن ثم نسخن بخمس معلومات فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ من القرآن"[290]

قال الطحاوى – رحمه الله – فى شرح مشكل الآثار: "ولكن حقيقة هذا الحديث عندنا ، والله أعلم ، ما قد رواه من أهل العلم ، عن عمرة ، عن عائشة رضي الله عنها من مقداره في العلم ، وضبطه له فوق مقدار عبد الله بن أبي بكر وهو القاسم بن محمد بن أبي بكر الصديق"[291]

وهذا هو نص الرواية بسندها :-

حدثنا محمد بن خزيمة قال: حدثنا حجاج بن منهال قال: حدثنا حماد بن سلمة، عن عبد الرحمن بن القاسم، عن القاسم بن محمد، عن عمرة، عن عائشة رضي الله عنها قالت: "كان مما نزل من القرآن ثم سقط : أن لا يحرم من الرضاع إلا عشر رضاعات ، ثم نزل بعد: أو خمس رضاعات"[292]

[290] صحيح مسلم 2634
[291] شرح مشكل الآثار (313/5)
[292] المصدر السابق

ومن ثم قال الطحاوى – رحمه الله –: "فهذا الحديث أولى من الحديث الذي ذكرناه قبله ، وفيه أنه أنزل من القرآن ثم سقط ، فدل ذلك أنه مما أخرج من القرآن نسخا له منه ، كما أخرج من سواه من القرآن مما قد تقدم ذكرنا له وأعيد إلى السنة ."[293]

هذا و قد تُوبِعَ القاسم بن محمد على روايته هذه، قال الطحاوى : " وقد تابع القاسم بن محمد على إسقاط ما في حديث عبد الله بن أبي بكر أن رسول الله صلى الله عليه وسلم توفي، وأن ذلك مما يقرأ من القرآن، إمام من أئمة زمنه، وهو يحيى بن سعيد الأنصاري"[294]

وبذلك تقوم لنا – نحن المسلمين – الحجة على أن هذا كان قرآنًا وسقط، أى نُسِخ، كما أشار الطحاوى – رحمه الله – وبقى القول عن سبب أن هذه كانت فيما تتلى حتى بعد وفاة النبى – صلى الله عليه و سلم –

وهذا ما أجابه النووى – رحمه الله – إذ قال: "وقوله : (فتوفي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهن فيما يقرأ) هو بضم الياء من (يقرأ) ومعناه أن النسخ بخمس رضعات تأخر إنزاله جدا حتى أنه صلى الله عليه وسلم توفي وبعض الناس يقرأ خمس رضعات ويجعلها قرآنا متلوا لكونه لم يبلغه النسخ لقرب عهده فلما بلغهم النسخ بعد ذلك رجعوا عن ذلك وأجمعوا على أن هذا لا يتلى ."[295]

وجاء فى سنن ابن ماجه قال: " حدثنا أبو سلمة يحيى بن خلف حدثنا عبد الأعلى عن محمد بن إسحاق عن عبد الله بن أبى بكر عن عمرة عن عائشة. وعن عبد الرحمن بن القاسم عن أبيه عن عائشة قالت لقد نزلت آية الرجم ورضاعة الكبير عشرا ولقد كان فى

[293] المصدر السابق

[294] المصدر السابق (314/5)

[295] راجع شرح النووى على مسلم ، كتاب الرضاع ، حديث 2634

صحيفة تحت سريرى فلما مات رسول الله –صلى الله عليه وسلم– وتشاغلنا بموته دخل داجن فأكلها."

فى سنده محمد بن إسحاق وهو مدلس ذكره ابن حجر فى الطبقة الرابعة[296]، وهى الطبقة التى قال فيها: " من اتفق على أنه لا يحتج بشئ من حديثهم الا بما صرحوا فيه بالسماع لكثرة تدليسهم على الضعفاء والمجاهيل"[297] وهو هنا لم يصرح بالسماع بل عنعن فحديثه مردود .

ثم إن المعول عليه فى نقل القرآن هو حفظ الصدور لا السطور كما سبق بيانه .

وبهذا ينتهى الرد على أمثلة القراءات الشاذة من صحيح الإمام مسلم.

[296] طبقات المدلسين (ص:51)

[297] طبقات المدلسين (ص:14)

لو أن لابن أدم واديين من مال :-

قال أحمد: "حدثنا عبد الله حدثني أبي ثنا محمد بن جعفر وحجاج قالا ثنا شعبة عن عاصم بن بهدلة عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال ان رسول الله صلى الله عليه و سلم قال : ان الله تبارك وتعالى أمرني أن أقرأ عليك القرآن قال فقرأ {لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب} قال فقرأ فيها ولو ان بن آدم سأل واديا من مال فأعطيه لسأل ثانيا فأعطيه لسأل ثالثا ولا يملأ جوف بن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب وان ذلك الدين القيم عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل خيرا فلن يكفرة"[298]

وقال أحمد: "حدثنا عبد الله حدثني عبيد الله بن عمر القواريري ثنا مسلم بن قتيبة ثنا شعبة عن عاصم بن بهدلة عن زر عن أبي بن كعب قال قال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم : ان الله تبارك وتعالى أمرني أن أقرأ عليك قال فقرأ على {لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة} إن الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل خيرا فلن يكفره قال شعبة ثم قرأ آيات بعدها ثم قرأ لو ان لابن آدم واديين من مال لسأل واديا ثالثا ولا يملأ جوف بن آدم الا التراب قال ثم ختمها بما بقى منها"[299]

---

[298] مسند أحمد (131/5) (21240)

[299] مسند أحمد (132/5) (21241)

عن أنس قال: " كنت أسمع رسول الله صلى الله عليه و سلم يقول فلا أدري أشيء نزل عليه أم شيء يقوله وهو يقول: لو كان لابن آدم واديان من مال لابتغى لهما ثالثا ولا يملأ جوف بن آدم الا التراب ويتوب الله على من تاب"[300]

وحقيقة هذه الآيات أنها كانت قرآناً نُسخت تلاوته كما وقع فى رواية عند الطحاوى فى شرح مشكل الآثار عن أبي موسى الأشعري قال:"نزلت سورة فرفعت، وحفظ منها: "لو أن لابن آدم واديين من مال لابتغى إليهما ثالثا، ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب, ويتوب الله على من تاب"[301]

فهذا قرآن نُسِخت تلاوته وقد قام الدليل على ذلك بحديث أبى موسى الأشعرى –رضى الله عنه– السابق ذكره .

أما محاولة الإستشهاد بما جاء فى صحيح البخارى قال: "حدثنى محمد أخبرنا مخلد أخبرنا ابن جريج قال سمعت عطاء يقول سمعت ابن عباس يقول سمعت رسول الله – صلى الله عليه وسلم – يقول: "لو أن لابن آدم مثل واد مالا لأحب أن له إليه مثله، ولا يملأ عين ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب". قال ابن عباس فلا أدرى من القرآن هو أم لا. قال وسمعت ابن الزبير يقول ذلك على المنبر"[302]

للتدليل كذباً وزورا أن الصحابة –رضوان الله عليهم– كانوا يجهلون آيات القرآن ويخلطون القرآن بالحديث والعكس فسقط منهم آيات قرآنية، فيجب أن يُعلم أن ابن الزبير لم يسأل على المنبر هل هذه قرآن أم لا كما ظن بعض الحمقى من الحديث المتقدم .

---

[300] مسند أحمد (122/3) (12250)

[301] شرح مشكل الآثار (274/5)، صححه الألباني في السلسلة الصحيحة 6 / 968

[302] صحيح البخارى (6437)

بل قال البخارى: "عن عباس بن سهل بن سعد قال سمعت ابن الزبير على المنبر بمكة فى خطبته يقول: "يا أيها الناس إن النبى –صلى الله عليه وسلم – كان يقول: "لو أن ابن آدم أعطى واديا ملأ من ذهب أحب إليه ثانيا، ولو أعطى ثانيا أحب إليه ثالثا، ولا يسد جوف ابن آدم إلا التراب، ويتوب الله على من تاب""[303]

فلا يظنن جاهل أن الأمر كان خافياً حتى زمن ابن الزبير –رضى الله عنه– وهو من صغار الصحابة حتى يقوم خطيباً متسائلاً أم من القرآن هذا أم لا، فلم يقع هذا الذى توهمه أولئك الحمقى، فقوله: "وسمعت ابن الزبير يقول ذلك على المنبر " أى يقول تلك الآيات عن النبى –صلى الله عليه وسلم– التى نُسخت تلاوتها وردت إلى السنة .

كذلك لا يظنن جاهل أن ابن عباس قال تلكم العبارة: " فلا أدرى من القرآن هو أم لا " واصفاً بها حاله الحاضر حين ذكر ما سمعه من كلام النبى –صلى الله عليه وسلم– بل هو واصفاً بتلك العبارة حاله حين قالها النبى –صلى الله عليه وسلم– ودليل ذلك أن ابن عباس –وهو من صغار الصحابة كذلك– كان قد أخذ القرآن عن أبى بن كعب –رضى الله عنه– ومنه تلك الآيات المنسوخ تلاوتها.

قال ابن عباس ما صححه الألبانى فى الصحيحة: " جاء رجل إلى عمر يسأله، فجعل ينظر إلى رأسه مرة، وإلى رجليه أخرى هل يرى من البؤس شيئا ؟ ثم قال له عمر: كم مالك ؟ قال: أربعون من الإبل! قال ابن عباس: صدق الله ورسوله: "لو كان لابن آدم واديان من ذهب .." الحديث . فقال عمر: ما هذا ؟ فقلت: هكذا أقرأنيها أُبي"[304]

[303] صحيح البخارى (6438)
[304] السلسلة الصحيحة (408/6)

إذاً فابن عباس –رضى الله عنه– لم يكن واصفاً حاله الحاضر بقوله: " فلا أدرى من القرآن هو أم لا " بل واصفاً حاله يوم أن سمعها من النبى –صلى الله عليه وسلم– إلى أن أقرأه إياها أبى بن كعب فعلم أنها قرآن ثم وقع نسخ تلاوتها بعد ذلك بسورة التكاثر بدليل قول أبى بن كعب –رضى الله عنه– التالى ذكره، ولما كان ابن عباس قد قرأ على أُبى[305] ومنه تلك الآيات على وجه الخصوص كما تقدم، وأُبى يعلم أن هذا كان قرآناً فنُسخ فالأمر كذلك مع ابن عباس ولم يستمر إلى ذاك العصر الذى قال فيه هذا الكلام؛ فالوصف إذاً كان على حاله الماضى قبل أن يقرؤه إياها أُبى .

وما ذكرناه فى ذلك عن ابن عباس –رضى الله عنه– هو ذاته ما ينطبق على أنس –رضى الله عنه– فى قوله: "فلا أدري أشيء نزل عليه أم شيء يقوله"[306]

وقد كان أنس من صغار الصحابة كذلك وما يؤيد ذلك أن أنس كان قد سمع النبى –صلى الله عليه وسلم– وهو يقرأها على أبى، فعن قتادة عن أنس – رضى الله عنه – قال: " قال النبى – صلى الله عليه وسلم – لأبى "إن الله أمرنى أن أقرأ عليك القرآن" . قال أبى آلله سمانى لك قال "الله سماك لى" . فجعل أبى يبكى . قال قتادة فأنبئت أنه قرأ عليه (لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب)"[307]

وجدير بالذكر أن هؤلاء الجهال قد ظنوا أن فى قول أُبى التالى ذكره حجة لهم فى إدعاءهم على الصحابة –رضوان الله عليهم– بخلطهم بين الآيات والأحاديث فأرادوا ضمه إلى قول أنس وابن عباس، ولم يفطنوا إلى أن قوله التالى هذا هو ما يرد زعمهم فيما إدعوه على أنس وابن عباس كما سيأتى.

---

[305] معرفة القراء الكبار (29/1)

[306] سبق تخريجه

[307] صحيح البخارى (4960)

عن أبي قال: "كنا نرى هذا من القرآن حتى نزلت (ألهاكم التكاثر)"[308]

قال ابن حجر: " قوله هذا لم يبين ما أشار إليه بقوله هذا وقد بينه الإسماعيلي من طريق موسى بن إسماعيل عن حماد بن سلمة ولفظه كنا نرى هذا الحديث من القرآن لو أن لابن آدم واديين من مال لتمنى واديا ثالثا الحديث دون قوله ويتوب الله الخ"[309]

ظن الجهال أن قوله: "نرى" يُفيد الظن والشك، وهو جهل قبيح جدا ما كان ينبغي أن يقعوا فيه بهذه السذاجة؛ فمن جمع الروايات الصحيحة التى تذكر تلك الآيات ليوهمنا أنها قرآن ضاع من المسلمين، كان عليه أن يتنبه إلى أن من نُقِلت عنه تلك الآيات المنسوخ تلاوتها هو أبى بن كعب نفسه، فكيف سيظن أن هذا من القرآن وهو نفسه من قرأها النبى –صلى الله عليه وسلم– عليه فى القرآن ؟!

قال أُبي: " قال لي رسول الله صلى الله عليه و سلم : ان الله تبارك وتعالى أمرني أن أقرأ عليك قال فقرأ على {لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب والمشركين منفكين حتى تأتيهم البينة رسول من الله يتلو صحفا مطهرة فيها كتب قيمة وما تفرق الذين أوتوا الكتاب الا من بعد ما جاءتهم البينة} إن الدين عند الله الحنيفية غير المشركة ولا اليهودية ولا النصرانية ومن يفعل خيرا فلن يكفره قال شعبة ثم قرأ آيات بعدها ثم قرأ لو ان لابن آدم واديين من مال لسأل واديا ثالثا ولا يملأ جوف بن آدم الا التراب قال ثم ختمها بما بقى منها"[310]

[308] صحيح البخارى (6440)
[309] فتح البارى (257/11)
[310] مسند أحمد (132/5) (21241)

إذاً فهذا من شأنه التأكيد على أن قوله: "كنا نرى" أى نعتقد ونُجزِم كما ذكر ابن حجر قال: "قوله كنا نرى بضم النون أوله أي نظن ويجوز فتحها من الرأي أي نعتقد "[311] والثانى هو الصحيح بما قدمنا عليه الأدلة فيما سبق .

وهذا القول من أبى بن كعب هو كذلك يضاف إلى قول أبى موسى الأشعرى فى أن هذه الآيات كانت قرآناً ونُسِخ .

وقال الألبانى فى رده على أمثال هؤلاء: "ومما سلف تعلم أن تأييده ما ذهب إليه بما نقله عن الحافظ من توجيهه لظنهم المذكور لا يفيده شيئا؛ لأن الحافظ ذكره في جملة ما ذكره من الاحتمالات في توجيه بعض الأحاديث، ولم يعتمد عليه، بل اعتمد على الآخر الذي سبق نقله عنه، وحط عليه بقوله: "فهو مما نسخت تلاوته جزما، وإن كان حكمه مستمرا" وأيده بحديث أبي موسى، وحديث جابر"[312]

أما ما رواه الهيثمى قال" :جاء رجل إلى عمر رحمه الله يسأله فجعل عمر ينظر إلى رأسه مرة وإلى رجليه أخرى هل يرى عليه من البؤس ثم قال له عمر كم مالك قال أربعون من الإبل قال ابن عباس قلت صدق الله ورسوله لو كان لابن آدم واديان من ذهب لابتغى ثالثا ولا يملأ جوف ابن آدم إلا التراب ويتوب الله على من تاب فقال عمر ما هذا قلت هكذا أقرأنيها أبي قال فمر بنا إليه قال فجاء إلى أبي فقال ما يقول هذا قال أبي هكذا أقرأنيها رسول الله صلى الله عليه وسلم قال أفأثبتها في المصحف قال نعم " فعلق عليه بقوله: "رجاله رجال الصحيح"

---

[311] فتح البارى (257/11)
[312] السلسلة الصحيحة (411/6)

فلا حجة فيه، إذ أن تصحيح السند لا يعنى تصحيح الرواية، قال الزيعلى " :ولو فرض ثقة الرجال لم يلزم منه صحة الحديث حتى ينتفي منه الشذوذ والعلة"[313]

وقال الألبانى " :مثل هذه الكلمة لا تقتضي الصحة كما لا يخفي علي من مارس هذه الصناعة، لأن عدالة الرواة وثقتهم شرط واحد من شروط الصحة الكثيرة، بل إن العالم لا يلجأ إلي هذه الكلمة معرضاً عن التصريح بالصحة، إلا لأنه يعلم أن في السند مع ثقة رجاله علة تمنع من القول بصحته، أو علي الأقل لم يعلم تحقق الشروط الأخري فيه فلذلک لم يصرح بصحته، وهذه مسألة مهمة طالما غفل عنها المبتدؤن في هذا العلم الشريف وغيرهم"[314]

والرواية هنا لا تخلو من تضعيف، إذ كيف بأبى بن كعب –رضى الله عنه– وهو من روى أن هذا اللفظ لم يعد بقرآن كما فى الحديث المتقدم من صحيح البخارى، يطلب من عمر إثبات هذا فى المصحف ؟! فلو سلمنا بصحة الإسناد وهو شرط واحد من شروط الصحة فالرواية لا تنهض حجة كونها مخالفة للصحيح الوارد عن أبى بن كعب نفسه

الخلاصة :–

هذه الآيات كانت موجودة بالقرآن الكريم وقد قرأها النبى –صلى الله عليه وسلم– على أُبى بن كعب –رضى الله عنه– وقول أبى: "كنا نرى" إنما معناه الإعتقاد الجازم واليقين فهو نفسه من قُرِأت عليه تلك الآيات فكيف سيظن أنها ليست قرأن ؟! وبعض الصحابة الصغار لم يكن له علم بعد أهذه الآيات من القرآن أم لا وهم ابن عباس وأنس .

[313] نصب الراية (263/1)

[314] تحذير الساجد (72)

أما ابن عباس فقد أقرأه تلك الآيات أبى بن كعب –رضى الله عنه– وقد صرح نفسه بذلك فى الحديث الذى صححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة .

أما أنس فهو قد سمع النبى –صلى الله عليه وسلم– وهو يقرأها على أبى فعلم أنها قرآن .

عدم وجود تلك الآيات فى المصاحف العثمانية إنما هو لنسخ تلاوتها وهذا دليل كاف وقد قدمنا له فى الكلام على أصل الشبهات، كما أن لدينا فى ذلك دليل إضافى هو حديث أبى موسى الأشعرى الذى صححه الألبانى فى السلسلة الصحيحة وحديث أبى بن كعب فى صحيح البخارى .

الفصل السادس

شبهات آخرى

شبهة تغيير الحجاج فى القرآن :-

قال ابن أبى داود فى المصاحف: "حدثنا عبد الله حدثنا أبو حاتم السجستاني، حدثنا عباد بن صهيب، عن عوف بن أبي جميلة، أن الحجاج بن يوسف غير في مصحف عثمان أحد عشر حرفا قال: كانت في البقرة (لم يتسن وانظر) بغير هاء فغيرها لم يتسنه بالهاء، وكانت في المائدة (شريعة ومنهاجا) فغيرها شرعة ومنهاجا، وكانت في يونس (هو الذي ينشركم) فغيره يسيركم، وكانت في يوسف (أنا آتيكم بتأويله) فغيرها أنا أنبئكم بتأويله، وكانت في المؤمنين (سيقولون لله لله لله) ثلاثتهن، فجعل الأخريين (الله الله)، وكانت في الشعراء في قصة نوح (من المخرجين)، وفي قصة لوط (من المرجومين) فغير قصة نوح من المرجومين وقصة لوط من المخرجين، وكانت الزخرف (نحن قسمنا بينهم معايشهم) فغيرها معيشتهم، وكانت في الذين كفروا (من ماء غير ياسن) فغيرها من ماء غير آسن، وكانت في الحديد (فالذين آمنوا منكم واتقوا لهم أجر كبير)، فغيرها وأنفقوا، وكانت في إذا الشمس كورت (وما هو على الغيب بظنين) فغيرها بضنين"

هذه الرواية باطلة موضوعة؛ في سندها عباد بن صهيب .

قال البخارى : "عباد بن صهيب البصري المدرى، تركوه"[315]

قال ابن أبى حاتم: "قال على بن المدينى عباد بن صهيب ذهب حديثه، نا عبد الرحمن انا حرب بن اسمعيل فيما كتب إلى قال سمعت ابا بكر بن ابى شيبة يقول تركنا حديث عباد

[315] التاريخ الكبير للبخارى (43/6)

بن صهيب قبل ان يموت بعشرين سنة، نا عبد الرحمن قال سألت ابى عن عباد بن صهيب فقال ضعيف الحديث منكر الحديث ترك حديثه"[316]

قال النسائى: "عباد بن صهيب البصري متروك الحديث"[317]

ويكفى ما قاله ابن حبان: " عباد بن صهيب: من أهل البصرة يروى عن هشام عن عروة والاعمش، روى عنه العراقيون كان قدريا داعيا إلى القدر ومع ذلك يروى المناكير عن المشاهير التى إذا سمعها المبتدئ في هذه الصناعة شهد لها بالوضع"[318]

[316] الجرح والتعديل لابن أبى حاتم (81/6)

[317] الضعفاء والمتروكين للنسائى (214/1)

[318] المجروحين لابن حبان (164/2)

أين باقى سورة الأحزاب :-

قال أحمد: "حدثنا عبد الله ثنا خلف بن هشام ثنا حماد بن زيد عن عاصم بن بهدلة عن زر قال قال لي أبي بن كعب : كأين تقرأ سورة الأحزاب أو كأين تعدها قال قلت له ثلاثا وسبعين آية فقال قط لقد رأيتها وإنها لتعادل سورة البقرة ولقد قرأنا فيها الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عليم حكيم"[319]

فيه عاصم بن بهدلة ثقة، وحديثه عن زر ضعيف كما ذُكِرَ فى شرح علل الترمذى لابن رجب فيمن حديثهم عن بعض الشيوخ فيه ضعف بخلاف حديثهم عن بقية شيوخهم[320] وجاء فيه: "عاصم بن بهدلة وهو عاصم بن أبي النجود القارئ، كان حفظه سيئاً وحديثه خاصة عن زر، وأبي وائل مضطرب"[321]

تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف

قال أحمد: "حدثنا عبد الله حدثني وهب بن بقية أنا خالد بن عبد الله الطحان عن يزيد بن أبي زياد عن زر بن حبيش عن أبي بن كعب قال: كم تقرؤون سورة الأحزاب قال بضعا

---

[319] مسند أحمد (132/5)

[320] شرح علل الترمذى لابن رجب (339/1)

[321] شرح علل الترمذى لابن رجب (339/1) أما تصحيح الألبانى لحديثه عن زر عن أبى بن كعب فى "لو كان لابن أدم ..." فذلك كون الحديث فى القراءات كما ذكر الألبانى وهو تخصص عاصم

وسبعين آية قال لقد قرأتها مع رسول الله صلى الله عليه و سلم مثل البقرة أو أكثر منها وان فيها آية الرجم"[322]

تعليق شعيب الأرنؤوط : إسناده ضعيف لضعف يزيد بن أبي زياد

تم بحمد الله

[322] المصدر السابق

المحتوى